في مهب الريح



صالح زيادنة

صالح زيادنة

في مهبّ الريح

٢٠١٣

في مهب الريح

صالح زيادنة

الطبعة الأولى

حزيران ٢٠١٣ م – رجب ١٤٣٤ هـ.

طبع في: مطبعة جيميديا – رهط.

المنطقة الصناعية، هاتف: ٠٨-٩٩١٠٨٥٠

الإهـــــداء

* – إلى زُمَلائي وأَصْدقائي الشُّعَراء والكتَّاب العَرَب.

* – إلى الذين كَتَبُوا عني والذين كَتَبْتُ عنهم.

* – إلى الذين عرفتُهم والذين لم أعرفهم، والذين رأيتُهم والذين لم أرهم، إليهم جميعاً وإليك أنتَ عزيزي القاريء أُهدي هذه الباقة من الكلمات.

صالح زيادنة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمدُ للّه ربّ العالمين، اللهم إني أحمدك حمداً يليق بجلال وجهك الكريم، وأشكر فضلك ونعمتك التي أنعمت عليّ، وأسألك الرحمة والمغفرة والستر في الدارين. وأُصلّي وأسلِّم على سيدنا وحبيبنا محمد النبي العربي الصادق الأمين، وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين، ومن سار على هديهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

هذا كتابٌ جمعتُ فيه مقالاتٍ كَتَبَها بعضُ الأصدقاء من الشعراءِ والكُتَّابِ حول بعض مؤلفاتِنا ناقدينَ وموجّهين وناصحين، ومُرشدين ومُقرظين في أحيان أخرى كثيرة، وفي عباراتهم صدقٌ ودفءٌ أخويّ، وتوجيه للأفضل لتظلّ كلمة الأدب رقيقة ناعمة، جميلة وهادفة، فجزاهم الله خير الجزاء.

وهذه المقالات لم يضمّها كتابٌ من قبل، وإنما نُشرت في الصحف المحلية وبعضها نُشر في صحفٍ في الدول العربية الشقيقة، والبعض الآخر نُشر في مواقع مختلفة على الشبكة العنكبوتية، فرأيت أن أجمعَها في هذا الكتاب الذي أسميته «في مهبِّ الريح»، وأضفتُ إليها مقالاتٍ أخرى كتبتُها حول مؤلفات عددٍ من هؤلاء الأصدقاء، وأضفت صوراً تجمعني ببعضهم في مناسبات مختلفة، وفي نهاية الكتاب أضفت خمس قصائد من قصائدي مترجمة للإنجليزية والعبرية.

وقد قسمتُ الكتاب وبوبّته إلى أربعة أبوابٍ رئيسية، حيث جعلتُ القسم الأول للمقالات التي كُتبتْ حول مؤلفاتي المتواضعة، والثاني للمقابلات الصحفية المختلفة

التي أُجريت معي، والثالث للمقالات التي كتبتُها أنا عنهم، أما الرابع والأخير فجعلته للقصائد التي تُرجمت لي للغتين الانجليزية والعبرية كما ذكرت.

وإن تكن هذه المقالات تدور حول نتاجنا وشخصنا المتواضع، وحول بعض الزملاء الذين اهتموا بهذا النتاج وقيّموه، فهي بلا شكّ تُلقي الضوء على زاويةٍ مهمةٍ وحقبةٍ نيّرة من حياتنا الفكرية والأدبية في هذه المنطقة.

ولم يكن من عادتي أن أجمعَ كلّ قُصاصة ورقٍ تُكتب عنّي، لأن العالَمَ أصبح صغيراً في عصرِ التقدّم الالكتروني وعصرِ شبكاتِ التواصل الاجتماعي والانترنت، وليس باستطاعة الكاتب أن يتابعَ كلّ ما يُنشر له أو ما يُكتب عنه، فلذلك اقتصرت على المقالات التي نُشرت في بلادنا أو التي بعثَ لي كاتبوها نسخةً منها، وفي هذا فضل وكفاية والحمد لله ربّ العالمين.

وختاماً أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يُحبّ ويرضى، وأن يُسدّد خطانا ويهدي قلوبنا للخير والبِرّ والإحسان، عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم.

وحرر في:

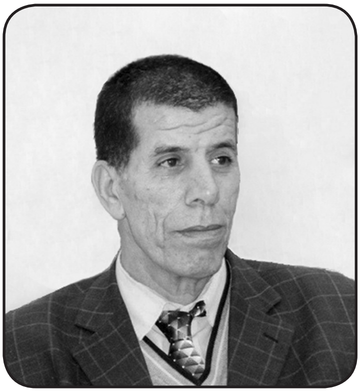
الجمعة، ٠٧ حزيران، ٢٠١٣م – الموافق: ٢٩ رجب ١٤٣٤هـ.

في مرآة النقد



حول ديوان «جمر ورماد» لصالح زيادنة

بقلم : محمود مرعي



من خلال قراءتي لمجموعة الأخ صالح، رأيته يمخر عُبابَ الحزنِ والأسى دون أن يصلَ ويحطّ قلوعه على شاطئ الأمل والفرح والرجاء، رأيته يعيشُ في دوَّامةِ حزنٍ حتى في قصائد الحبِّ التي هي مساحة الكتاب كلّه تقريباً، والتي يمكن تصنيفها كإنسانية، فجميعها يسري في دمها الحزنُ والأسى، وعلى حدّ تعريف الشاعر نفسه للقصيدة في المقدمة: «والقصيدة عزيزي القارئ معاناة نفس، كآبة ودموع، إنها ارتعاشات أمانٍ، واختلاجات آمال، تنهدات لوعة وزفرات أسى» ص ٣، وليس هذا فحسب بل اختياره لمن يهدي إليهم شعره وكتابه «إلى الذين ظلمتهم الحياة، وأغلقَ القدرُ أمامهم سبلَ السعادة، إلى كلِّ النفوس التي غرسها الحزنُ بأشتال الألم، إلى الذين تطفح قلوبهم بالدمع، وتفيض بالمحبة .. أرفع هذا الكتاب) ص ٥، ومن اقتباسه قول جبران: «أنا لا أُبَدِّلُ أحزان قلبي بأفراح الناس، ولا أرضى أن تنقلبَ الدموعُ التي تستدرّها الكآبةُ من جوارحي وتصير ضحكاً» ص ٦.

يمكننا أن نستشعر ثقل الألم والهموم على نفس الشاعر وقلبه، وهذه ملامح شعر الشاعر بصورة عامة، هذا الشاعر الذي استسلم للحزن والكآبة والضياع ولا يريد الخروج منها ولا أن يستبدلها، لذلك فقد اخترت بداية السير داخل المجموعة من نقطةٍ بعيدةٍ عن البداية وتقع تقريباً في آخر الكتاب. القصيدة «سرت بدربنا

وحدي ص (٧٤–٧٧) يقول فيها: «نفسي لم تعد تهفو إليها/ عفتُ دمعاتِ الرياء/ بمقلتيها/ فهي كالأطفال/ تعبث الأوهامُ فيها/ أينما سرتُ ... وفي أيّ طريق/ أشعر الحزن المؤجج/ في ضلوعي كالحريق/ فأود لو أهوى سواها/ وأريح قلبي من هواها».

فبينما يقرّر بداية «نفسي لم تعد تهوى سواها» لأسبابٍ ذكرها، يعود قائلاً: «فأودّ لو أهوى سواها/ وأريح قلبي من هواها» وهذا يعني أن قوله الأول «نفسي ...» هو مجرد وهم وخداع للنفس لأنه لا يستطيع التخلّص من حبها، ونتيجة للحزن المؤجّج في ضلوعه غفلَ الشاعرُ أو أنه قصد عمداً إلى إغفالِ شكلِ قصيدته، فبينما بدأ قصيدته بالنثرية ومضى ثلاث صفحات، نجده في نهاية الصفحة الثالثة إلى آخر القصيدة غيّر طريقته واستعمل تفعيلة الوافر (مفاعلتن) كقوله في آخر القصيدة (ولكن بعد أعوامٍ/ عرفتُ بأنني وحدي/ وأنك أنتِ في دنيا/ من النكران والجُحْد/ فلملمت بقايا الحبّ/ وكفكفتُ دموعَ القلب/ وسرتُ بدربنا وحدي).

وهذه المعشوقة التي تعيشُ في دنيا النكران والجحود وهذه أوصافها في أكثر من موقع، ولا نخطئ في ربطنا هذه القصيدة مع ما جاء ص ٧ وبصورة مختصرة (في البدء ../ وسمعت صوتكِ من بعيدٍ يعتذر / لا تنتظر) بالإضافة إلى صورة توضيحية في نفس الصفحة لفتاة مدبرة ماضية في طريقها وهي على الأرجح صاحبة القول (لا تنتظر).

إذن فالشاعر في وحدته ومعشوقته الناكرة الجاحدة، قد تركته ولن تعودَ إليه، ورغم كلّ هذا فهو يأبى إلا أن يناديها (حبيبتي) رغم ما فعلت به، وهو دائم البحث عنها قصيدة (أبحث عنك ٨–١٠) (حبيبتي / عندما تدق أجراس المساء / وأرى الكواكبَ باسماتٍ في الفضاء / والبدر يلهو عابثاً في دربه / يجترُّ أوَّلَ قصةٍ من حبّه / فتسيل من عيني الدموع / وتثور في صدري الضلوع / وأسير وحدي في الظلام

/ بعواطفي ومشاعري / ..../ لا الليل يثنيني ولا البرد الشديد / أبحث عنك في الأفق البعيد / أبحث عنك في الأفق الموشّى بالدموع / في صراخ القلب / في حزن الضلوع / أبحث عنك في صمت السكون / في ضياء البدر / في الدمع الهتون).

وهنا لا بد من ملاحظة، حيث أرى أن الشاعر كتب إحساسه بكلّ عفوية وتلقائية وبوح دون الالتفات إلى الوزن والتقيد به، فكلمة (حبيبتي) تأتي على متفاعلن بعد دخول الوَقْص عليها أي حذف الثاني المتحرك بحيث يُصبح شكل التفعيلة (مفاعلن) وأكثر ما يَرِد في القصيدة (متفاعلن) وعليه فإن القصيدة من شعر التفعيلة غير الجاري، ولكن جملة كهذه (عندما تدقّ أجراسُ المساء) أو جملة كهذه (أبحث عنكِ في الأفق البعيد) أو هذه (في صراخِ القلب) لا يمكن إدخالها ضمن (متفاعلن) مما يؤكد أن الشاعر يكتب بتلقائية كما تعنّ الجملة الشعرية في المخيلة.

نعود إلى ما كان فيه إلى المعشوقة الناكرة الجاحدة التي لا يتوقّف شاعرُنا عن البحثِ عنها (ويتوه دربي / وتضيع آثارُ الطريق / ويشبّ في صدري لهيبٌ من حريق / وأرى خيالك باسماً / يختال في الأفق البعيد / فأعود وحدي حائراً / لأبحثَ عنك في يومٍ جديد)، وإذا أخذنا آخر سطرين (فأعود وحدي حائراً) نجد هنا شطر بيت من مجزوء الكامل (متفاعلن – متفاعلن) أما السطر الأخير فنجد شطر بيت من الوافر (لأبحث عنك في يومٍ جديد) (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) ومن مطالعتي لأشعار صالح التي ينشرها في الصحف المحلية رأيته يُتقن أوزانَ الشعر فما باله هنا؟ ونتابع قضية الوحدة والحزن والضياع الذي يُحسّ به، قصيدة (ضياع شاعر ١١-١٤) المهنة شاعر ../ يهيم في أودية الشعر / مسحور يسألُ: أين تسير الدربُ / وكيف يدور الدهر / لو تعرف ليلى المسكينة / ما معنى الشعر / .../ لو تعرف ليلى / كيف أعيش الحزن، وألوك الصبر/ لو تعرف ليلى / أثقال الكون على

صدري / لم تسأل / ما معنى الشعر ؟) وهذا كله يؤدي بالشاعر إلى البحث عن اسمه في سِفر الدهر وإلى عدم معرفة العصر الذي يعيشه (وأنا أبحث مهموماً / عن اسمي في سِفْرِ الدهر/ لا أعرف حقاً / إن كنتُ أعيش بهذا العصر / لا أدري حقاً / إن كنتُ أعيشُ بها العصر)، وتكرار (إن كنت أعيش بهذا العصر) جاء لزيادة التأكيد على ما يعانيه الشاعر وما يُحسّ به من الضياع.

وهذه القصيدة كغيرها جاءت على تفعيلة الخَبَب (فعلن) ولكن جملة (يهيم في أودية الشعر) التي جاءت في بداية القصيدة شذّت عن الباقي من حيث الوزن.

أما من حيث الضياع والمتاهة التي تحاصر الشاعر لدرجة قوله (لا أعرف – لا أدري / إن كنت أعيش بهذا العصر) فقد رأينا لدى زميلٍ آخر هو الشاعر حسين مهنّا الذي وصل به الأمر في لحظة إلى القول (ليسَ في الحقلِ سوسنٌ للفرح)، أما أنا فأقول: «دائماً هناك مكان للفرح، ومهما أظلمت تظلّ دائماً في البعيد كوة من النور تُشِعُّ وتضيء خطاً يتّسع لنا وهذه الكوة وهذا الخيط كفيلٌ أن يحملنا على جناحه ويُوصلنا إلى مروج النور وإلى برِّ الأمان. يقع الكتاب في ٨٦ صفحة من القطع الصغير، يضم عشرين قصيدة من شعر التفعيلة غير الجاري وإن كانت أحياناً تتعثر بين النثر والوزن، والكتاب صدر في آب ١٩٩٢.

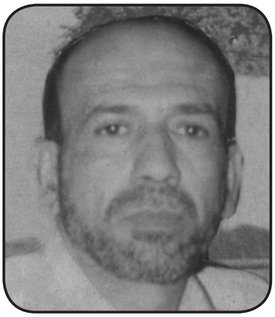
* * *

– نُشر في ملحق بانوراما بتاريخ ٣٠ / ٠٥ / ١٩٩٧.

متابعة نقدية حول كتاب
«من الأمثال البدوية» للشاعر صالح زيادنة

بقلم الشيخ: غسان الحاج يحيى

تواصل:



بعد أن نَشَرَتْ الزاوية الأدبية في الميثاق مادةً لي عن نتاج شاعرِ الجنوب صالح زيادنة اتصلَ بي عبر مكالمةٍ هاتفية شاكراً ما كتبته عن نتاجه الشعري، فأوضحتُ له موقفي بأنني لا أستحقّ الشكر ما دمتُ أقومُ بدورٍ يجب أن يكون، فكلّ ما أقوم به بأنني أسمّي الأشياء بأسمائها، فالمادة الجيدة أقول بأنها جيدة والرديئة أشير إليها ... دون تجنٍّ.

وأنطلق في ذلك من ذائقة إسلامية بادية للعيان، أستنبطها من المفاهيم الإسلامية في الحكم على النتاج الفكري والأدبي والفني أي الحضارة بمجملها.

وهذا التوجه يُرضي بالطبع من يؤمن بما أؤمن، وينفر منه أو حتى يعاديه من اعتاد على مقاييس بريخت في واقعيته الاشتراكية ومفاهيم جان بول سارتر وقاعدته الوجودية الإباحية وغيرهم بالطبع ..

المهم هناك من يقرأ ما أكتب ويتفاعل مع ما أُنتج، وأخبرتُ الزميلَ الشاعر صالح زيادنة أنني سأتناول نتاجه (من الأمثال البدوية) حين تسمح لي الظروف، وسألته لماذا أسمى الكتاب (من الأمثال البدوية – وليس الأمثال البدوية)؟ قال بأنه استثنى الأمثال البذيئة لأنه يحسب أن هذه الأمثال لا تستحق الخلود.

الكتاب:

في تقديمه لهذا الكتاب يقول الشاعرُ صالح زيادنة: (الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على سيّد المرسلين النبيّ العربيّ الصادق الأمين وبعد:

أحمد الله سبحانه وتعالى أن أعانني على وضع هذا الكتاب وجمع مادته الجمّة، والتي هي بحقّ من عمق تراثنا، ومن أمثالنا الشعبية الصادقة التي تُعَبِّر عن حياة أهلِ البادية في ظروفهم المعيشية المختلفة، والتي تدور على لسان كلّ بدويّ في بيئته الصحراوية، حيث البساطة والعفوية التي لا تعرف التكلّف أو التصنّع.

فإن الأمثال تُعتبر خلاصة الفكر الإنساني، وزبدة التجربة البشرية التي تمرّ بِها في عصورها المتلاحقة.

ولم تكن طريقي في جمع مادة هذا الكتاب سهلةً بسيطةً، أو محفوفةً بالورد والياسمين، بل كانت من المشقّة بمكان، فقد قمتُ في البداية بكتابة ما أحفظه من هذه الأمثال خاصةً وأنني ولدتُ وربيتُ في هذه المنطقة وعشتُ ظروفها، وعرفتُ عاداتها وتقاليدها، وأحاديثها في مناسباتها المختلفة، ثم اصطحبتُ قلمي وقُصَاصات صغيرة كنت أُدوّن عليها ما أسمعه من أفواه الناس، أو ما أتذكّره في بعض الأحيان من أمثالٍ لم تكن مدوّنة، ودام الحال على ذلك من منتصف عام ١٩٩٥م وحتى صدور هذا الكتاب.

ثم قمت بترتيب هذه الأمثال حسب الحروف الهجائية ليتسنّى الوصول إليها بسهولة ويسر، وكنت أُضيف لها مادةً جديدة بشكلٍ مستمر.

ثم جاء دور شرح هذه الأمثال وكان ذلك أصعب ما واجهته في رحلتي مع هذا الكتاب، فكان عليّ أن أعيش المثل وأن أضع له شرحاً مطابقاً تماماً لمعناه، وللهدف الذي يرمي إليه، وللمغزى الذي يُقصد من ورائه، وأخذ ذلك مني جهداً غير قليل، وقد سهرت الليالي الطوال وقمت في ساعات الفجر قبل صلاة الفجر، لأشرح ما

أستطيع شرحه من هذه الأمثال حيث الهدوء والسكينة، حتى أضع لكلّ مثلٍ ما يطابق معناه من الشرح والتوضيح.

أمثال:

- الضيف إن أقبل أمير، وإن قعد أسير، وإن قام شاعر.
- الضيف ضيف الله.
- الدنيا ما بتغني عن الآخرة.
- اللي ما بيخاف من الله، خاف منه وخاف عليه.
- دار الظالمين خراب.
- الرزق على الله.
- رزقة الناس من الناس، ورزق الكل على الله.
- الدكان جنب الدكان والرزق على الله.
- اللي ناوي على الستر الله بيستره.
- من مشى وجا، ما خيّب الله له رجا.
- ربك بيجيبها على أهون سبايب.
- الشكوى لغير الله مذلّة.
- رضى الوالدين من رضى رب العالمين.
- العبد في التفكير والرب في التدبير.
- دَوِّر لبنتك قبل ما تدوِّر لولدك.

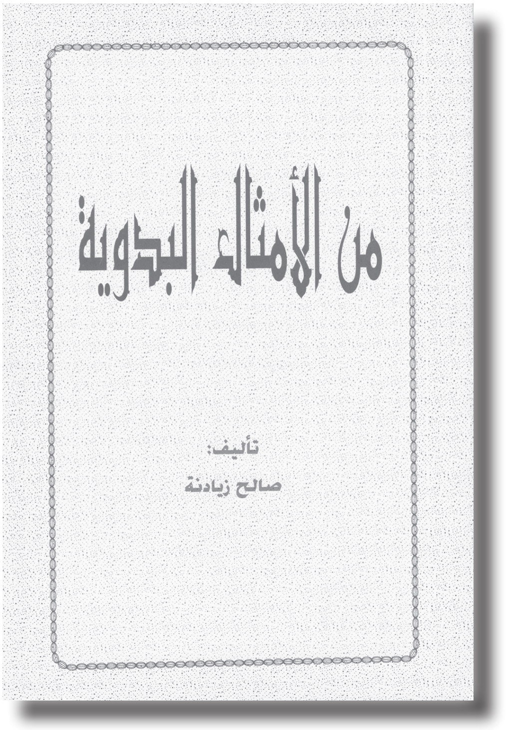
مصارحة:

في كتابه الشائق هذا (من الأمثال البدوية) أورد لنا الشاعر صالح زيادنة عبر مئتي صفحة ونيّف .. مجموعة كبيرة من الأمثال العربية البدوية ووضع لها شروحاً

وتوضيحات. ويلاحظ القارئ أن هذه الأمثال هي نفسها التي يتداولها أهلُ القرى وسكّان المدن كذلك، إلا ما ندر. والكتاب بمجمله مجهود جبار يستحق التقدير والثناء.

* * *

- نشرت في صحيفة الميثاق في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٠٠٢/٠٥/٠٣.



نافذة على النقب الفلسطيني من الجليل حتى النقب

بقلم: د. إدريس جرادات

فلسطين شعلة ... أولادها للهيبها حطب
تنطق السنابلُ بملء فيها ... هذا صالح زيادنة من واقع ما فيها



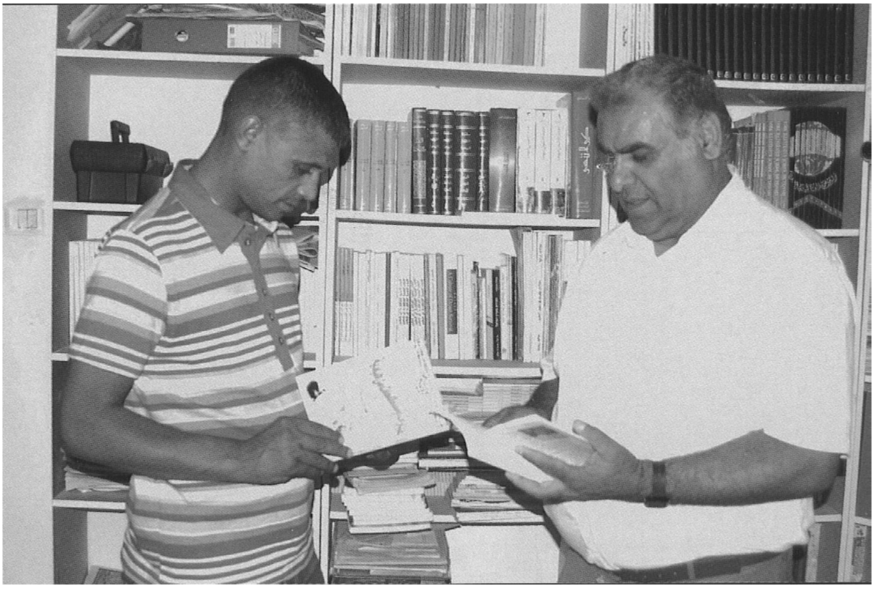
صفحات مجلةِ السنابل جمعت بين أسطرها صفاتٍ حميدة وجميلة للسيد صالح زيادنة واستطاعت مجلةُ السنابل بإرادتها القوية أن تصلَ النقبَ الفلسطينيّ محطمةً جميع الحواجز التي وضعها الاحتلالُ في طريقها وذلك بالسير في شوارع التفافية غير معبدة لتخطّي الحواجز لتزور السيد صالح زيادنة في مكتبه الذي يضم في جنباته مراجع تاريخية وتراثية تُعبّر عن أصالةِ الماضي وعزّ أهلِ البدو في النقبِ الجنوبي.

استطعنا من خلال هذه الزيارة أن نتعرّفَ على شخصيةٍ إبداعيةٍ هادئة متزنة تحملُ في طيّاتها أعمق الشعور البدويّ الأصيل الذي يُعبر عن حياة أهل البادية بصدقٍ وعفوية في ظروفهم المعيشية المختلفة التي تدور على كل لسانٍ بدويّ بدون تصنّع أو تكلّف، فشرح لنا السيد زيادنة طريقته في جمع مادة التراث البدوي حيث ابتدأها بما يحفظ ويسمع من عادات وتقاليد وأحاديث في المضافة البدوية فيصطحب قلمه، وقصاصات ورق ليدوّن ما يسمعه من الأفواه، ومن أبرز مساهماته كتاب بعنوان «من الأمثال البدوية» وهو طائفة من الأمثال الشعبية، عمل على ترتيبها ترتيباً هجائياً، ثم شرح هذه الأمثال حسب المغزى والقصد من ورائها وسهر الليالي الطوال في جمع وترتيب هذه المادة.

وساهم مع نخبة من الشعراء والكتاب على تأسيس رابطة أقلام الجنوب لترعى عمل الشعراء والكتاب والأدباء من النقب الفلسطيني وصدر عنها ديوان شعر بعنوان «نحو الشمس»، كما صدر له ديوان شعر بعنوان «جمر ورماد».

* * *

مجلة السنابل: السنة الثالثة: العدد التاسع، تموز – تشرين أول ١٩٩٩م، صفحة ١٤.



الشاعر في مكتبته الخاصة مع صاحب مجلة المستقبل السيد يوسف أبو صهيبان.

ملاحظات حول كتاب الأمثال للأستاذ صالح زيادنة

بقلم: عبد الكريم الحشاش[1]



سررتُ جدّاً لأنني عثرتُ على كتاب الأمثال للأستاذ صالح زيادنة على (موقع مؤسسة فلسطين للثقافة)، وشممت فيه رائحة الثرى الذي شاهدتُ النورَ عليه قبل ستين سنة، وقد استهوتني الأمثال الفصيحة والشعبيّة منذ وقتٍ ليس بالقصير، وصنّفتُ كتاباً بعنوان الأسرة في المثل الشعبيّ الفلسطيني والعربيّ عام ١٩٨٨م، وأظنّ أنّني أهديته مع مجموعة للشيخ جمعة القصاصي، وأرجو أن يكونَ في مكتبة رهط، ولديّ مخطوط عن الأمثال الفلسطينيّة المقارنة، وهو قيد الطبع، ولقد حذا صالح الزيادنة حذو من رتّبوا الأمثال حسب الترتيب الهجائي، وإن كان هذا جائزاً في الأمثال الفصيحة؛ لثبات نصوص الفصحى، فإنّه من الصعب ترتيب الأمثال الشعبيّة لاختلاف النصوص حسب اللهجات والمسموعات، وكنتُ أتمنّى لو أنّ المؤلّف صنّف كتاب طائفة من أمثالنا الشعبيّة حسب المواضيع كما بدأ في بداية البحث، مثلاً الأمثال المتعلّقة بالزواج والضيف والأسرة والجار والصاحب والمعاملات ......، فالأمثال الشعبيّة متشعّبة تشعّب الحياة نفسها، والأمثال إذا ما رُتّبت حسب الترتيب الأبجدي أتت خليطاً غير متجانس.

وقد أوردتُ صيغاً أو مرادفات أو تفاسير لبعض الأمثال ومضاربها الواردة في

١ – كاتب وباحث في التراث الشعبي العربي ـ عضو اتحاد الكتاب العرب.

كتاب صالح لحرصي على اكتمال الفائدة، ولولا أنّ الكتاب مهم لما عكفتُ على قراءته في ليلة ودونت هذه العجالة، وإن شاء الله سنتواصل ونتحاور مستقبلاً بشأن الأمثال وغيرها من المأثورات الشعبيّة الفلسطينيّة، و«نَفَس الرجال يحيي الرجال» وملاحظتي تبدأ من أوّل الكتاب وتسير معه بتسلسل:

ضيف المسا ما له عشا: مثل فلاّحي يؤتى به للدعابة، أمّا في البادية فحبل الضيف مطلوق، ولو أنّهم قالوا: ضيف الهشلة قشلة. صابح القوم ولا تماسيهم. يا ضيف ما كنت محلّي: لا سيد يا ضيف ما كنت محلّيّ. ويقال ليقنع الضيف بما يقدّم له من طعام، لأنّ الناس من يسر وعسر.

سكوت الضيف من بخت المحلّي: السكوت علامة الرضا، ولكن بشأن الضيف يقال: العُذْر ما يقْرِي ضيوف، ومن شاور عاب. أما عن استفادة راعي البيت والجيران من وليمة الضيف يقال: ضيف في جنبه حريف. والضيف السابق محلّي.

من عفّ عن شي كأنّه ماكله: من تخرّف في شي عدّه مسويّه. يضرب للاعتذار عن وليمة.

دار الظالمين خراب: في الفصيح: الظلم مرتعه وخيم. ومن الشعبي: فرس الطاغي عثور.

الشدّة ما هي مدّة: الضيق في حدّه فرج. ما عقب الضيق إلاّ الفرج. اللي له مدّة ما تهينه شدّة.

من دنَّت رحايله رحل: يضرب في الرحيل وليس في الموت، ونصّه: من دنّى رحايله رحل. أي من هدّ بيته وبرّك إبله أوشك على المغادرة، ومثله: أمارة الرحيل الرّغا.

الدنيا تروح خراريف: تروح قسوات الليالي خراريف.

العمر كلّه مدرسة: الحياة مدرسة. يموت الواحد وهو يتعلّم.

اللي له عمر ما تهينه شدّة: اللي له مدّة ما تهينة شدّة. وقال البَدِّيع:

اللي له عمر ما يموت   لتدقدق راسه بالحجر

دوّر لبنتك قبل ما تدوّر لابنك: لضرورة اختيار النسيب المناسب: ومن الأمثال: بيت رجال ولا بيت مال. النسيب يا عزّ يا موكلة. دوّر لبنتك عن النفل ودوّر لابنك عن الأصل. وفي الجزيرة العربيّة قالوا: حطّ بنتك في الشقبان وذبّها في بيت الشبعان.

البدل قلّة عَدَل: يجب أن يكون البدل متوازناً ليصح ويستمر:

حلّ البدل بيننا يا عيد بادلنيه   طولك على طولنا وحملك معادلنيه

النوّارة ما تطلع من الحارة: كثير من النساء الجميلات خرجن من حارتهن، يقال: نوّارة من قوّارة. أي قد تلد الرعناء فتاة عدلة. وللأولاد: أولاد الهول دول. اللي يستحي من بنت عمّه ما يجيب منها غلام. ولد عمها ياخذها من البرزة. ولد عمّها ينزلها عن الجمل (الفرس). من طين بلادك ليّس ع خدادك. ابن العم لا تاخذ غريبة ردايدنا لا قمح الصليبة.

اللي ما يطلع لأبوه بندوق: تتحكم في الولد مسائل وراثيّة كثيرة كالجمل الأورق، العرق يمد لسابع جدّ، العرق دساس، ما يطلع لأبوه كان القنفد.

النار ما تخلّف غير رماد. ويقال: المخبأ بندوق. الخال ينفع ويضر. الولد لو بار ثلثينه للخال، الخال والد. يا ويل الخال من ابن أخته. اطبخ عدس وانفخ تحته ما أهمل من الخال إلاّ ابن أخته.

البطن بستان تجيب أشكال وألوان. البطن تجيب صبّاغ ودبّاغ.

بذاره في حجره: هذا صاحب الأرض الذي يبذر عند الحراثة، يضرب للتهيّؤ التام. المعرس أخو المجنون. الغيرة بتحبّل النسوان: لولا الغيرة ما حبلت الأميرة.

دودتها قرعا ما لها قرون: لأخلّي القرعا تنطح أمّ قرون. الضرّة مرّة ولو كانت قعوار جرّة. لا تفرحي يا ضرّتي عقّبت لك شروش سرّتي. صار لها جوز بالحيلة، قالت أعور وهمّته ثقيلة. وفي الحثّ على الزواج قيل: تعلّقي يا مراة ولو بغصن شجرة. ظِلّ راجل ولا ظلّ حيط. الشرك في الرجال ولا عدمهم. وللرجال يقال: ماخذ الثنتين يا قادر يا فاجر. اللي ياخذ ثنتين عمره ما يطْوَل له ذيل، وعكسه: الخيّر أبو ثنتين وثلاث، اضرب النسي بالنسي والهجن بالعصي.

ناقة لو هدرت، عنز لو طارت. ما دقن قالت لشارب: لم ينصح الشيخُ الشابَّ. ما عقص يعدّي على شارب. طبّ الجرّة على ثمّها تطلع البنت لأمها. بنت الخايضة خوّاضة. نارك ولا جنّة هلي(أغنية). الفرس من الفارس. كيد النسوان غلب كيد الشيطان. اللي تطبخه العمشا جوزها يتعشّى. وفي ليبيا يقال: اللي تديره العميا ياكلوه ضناها. ابن بطني يعرف رطني. وعن موت الولد قبل أمّه: كم فاطر شربت في جلد حوارها. احطها في جربان وأدير بيها على العربان وأقول قالها فلان: الجربان مفردها جراب، يوضع فيه تمر وغيره، هذا قول يقوله المستحجّ بعد أن ينهي حجّته أمام القاضي كي ينصفه خوفاً من الفضيحة، وبعضهم يضيف وإن كان ما تنصفني تلقاها في الولد الفالح والبعير السارح، وليس مثلاً نسائيّاً.

مثل اللي تغمز (تغمض) في العتمة (الظلما)، أمّا عن الرقص: الراقصة راقصة بردان وبدون ردان، أوّل الرقص حنجلة (حيجلان).

تموت الرقاصة ....: يموت الزمّار وإصبعه يلعب. احترنا يا قرعا نبوسك من أين.

خلي الزيت في جراره لتطلع أسعاره.

قال: ابعد عن الشرّ والْبِد! قال: ابعد عن الشرّ وغنّي له وهات فاس وقَنّي له.

اربط إصبعك مليح لا يدمى ولا يقيح: مثل في الطبّ الشعبي.

مماكسة الثيران من حظّ المكاري. قالوا للحرامي احلف قال الفرج جانا. قال تعرف تسرق قال آه. قال: تعرف تخبي؟ قال: لا. قال: لا بيك ولا بسرقتك.

إن حمدوا لك مرعى ارعى دونه: معنى المثل: إنّ خبر المرعى الجيّد ينتشر ويعلمه القاصي والداني، فسيكون العشب مرعيّاً، وقد سبقك الناس إليه، ومن الحكمة أن تبحث لك عن مرعى أقلّ شهرة، وعليه رِجْل قليلة لترعى حلالك.

إذا انحرق خُصّ جارك حضّر لخصّك ماء (نار) فالخطر سيصلك، ومثله: إن حلق جارك بلّ راسك، صبّن دقنك. إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كلّه. إذا طلعت دقن ابنك زيّن دقنك.

إن غرقت مركبك إلحقها رجلك (دزّة): للمغامرة لأنّ المال معادل الروح. المخسر من طبع الموت. وعكسه: إن ضاع مالك لا يضيع عقلك.

إذا قالوا لك اثنين وين راسك تحسّسه. الحق البوم يدلّك ع الخراب. أذن من طين وأذن من عجين. قصقصي طيرك ليلوف لغيرك: مثل نسائي ومثله: خلّي الرغيف خيّال وهو رِجْلِي.

اطعم الثمّ تستحي العين. اطعم الظاري وخلّي المشتهي. اعزم والزم وأكل العيش نصيب. اعمص ويتجعمص. ما وجع إلاّ وجع الضرس ولا همّ إلاّ همّ العرس. ضيف الحارة خسارة. عيار الشبعان أربعين لقمة. أكل الرجال على الرجال قُرْضة ودين وعلى الأنذال صدقة. عدّي رجالك عدّي من الأقرع للمصدّي. يا شايف الزول يا خايب الرجا. العب وحدك ترجع راضي. من لاعب الصبيان دمّت ركبته. ركبّناه ورانا مدّ ايده في الخرج. اللي يقدّم السبت يلقى الأحد قدّامه. الملدوغ يخاف من جرّة الحبل. إن ضاع الجمل لا أسفا على الرسن. وعكسه: عوضك من جملك قيده. إن غابت الإبل عدّوا أرسانها. اللي يتكل على ... جارته يبات ... في الندى. قل الحق ولو على قطع راسك. من سأل ما تاه. يا مسترخص اللحم عند المرق تندم.

إن لقيت غالي زيده. الغالي ثمنه فيه. الغالي رخيص والرخيص غالي . الرخيص بخيص. اللي تطلّقها لا توصفها الجيزان: لأنها ستدبّر أمرها، فلا تقلق عليها. من عاشر القوم أربعين يوم يا صار منهم يا رحل عنهم. اللي يشِنّ فيك بعين شِنّ فيه بثنتين.

من حاسبها فارقها: إذا حاسب الرجل زوجته محاسبة دقيقة فإنّه سيطلّقها، فعليه المسامحة. اللي يمشي على رجليه ما ينحلف عليه. اللي ياكل الرغيف ما هو ضعيف. ما ينكر أصله إلاّ البغل. قالوا للبغل من أبوك؟ قال الحصان خالي. من وفرها جت في راسه. كل مدبّر مغبّر.

اللي سبق حاز النبَق. اللي في بطنه عظام يتحسسهن. المجنون يكتفوه أهله. اللي ما يقدر على العير ينطّ على البرذعة. ما في الصعايدة فايدة. ربيع مصر رايح في طريقها. الأمانة سوّدت وجه الغراب. إن أقبلت خيط السبيب يجيبها وإن أدبرت عيّت حديد المبارد. إن طوّل مرسالك ترجّاه. الغايب عذره معاه. الغايب ما لك غير وجهه. المركب إن كثروا ريَّاسها غرقت، والطبخة إن كثروا عَوَّاسينها حرقت. إن تفلت فوق على الشارب وإن بزقت تحت على اللحية. يا أرض اتهدّي ما عليكِ قدّي. اليد اللي ما تقدر عليها بوسها وادعي عليها بالقطع: (من الأمثال السلبيّة). ما يعرى البدوي غير لمّا يشوف ثوبه معلّق في السوق. لا تدلّ البدوي على باب دارك. إذا عرف البدوي باب دارك غيّره. البركة في الساعات. المراجل تغيب وتحضر.

بَشِّر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ولو بعد حين. رخاوة البطَان تاتي بالدبر. بلا يهون عن بلا الكرساح ولا العمى. غُبّ غَبّ الجمال وقم قبل الرجال. عمر المراة ما ربّت ثور وحرث. التم المتعوس على خايب الرجا. ثوب وعباه وبرقع ووقاه: قالها بدوي عندما سئل عن مراسم العرس في البادية وهو يأكل لإلهائه عن الطعام،

بينما انطلت الخدعة على الفلاح الذي أسهب في الحديث عن حفل الزواج والحناء والزفّة والوليمة، فضاع عليه الطعام هو يشرح، أمّا البدوي فقال الجملة واستأنف الأكل. زي الكي على الفِكَك. صاحبك مرايتك. جاك يا بلوّط من يعرفك: كان رجل يبيع البلوط على أنّه كستناء فأتاه رجل يعرف ثمار البلوط، فقال له: هذا بلّوط ما هو كستنا. فقال: جاك يا بلوّط من يعرفك. الكل في قطينه يقطّن. جحا أبدى بلبن ثوره. الجمل لو شاف حدبته طاح وانكسرت رقبته. جاوا يعاونوه في قبر أبوه دسّ المحافير. حُطّ إصبعك في عينك مثل ما يوجعك يوجع غيرك. داهم من غداهم. حَمِّل جثّة ولا تحمّل روح: حمل الحي صعب لأنّه يتحرّك عكس الميّت أو الأشياء. حمّلوه عنز ... وقال: ارفع عليّ الثانية: للهزؤ ممن يتزوّج باثنتين وهو رقيق الحال أو متقدم في السنّ أو مريض. الميت ما يرافق الحي. آخذ ابن عمّي واتغطى بكمّي. بنت العم عميا. يفضح ولا يسطح: عند السماح لتسرب الريح من البطن. ابن الحلال عند ذكره يبان. ذكرنا القط جانا ينط. اذكر الذيب وحضّر القضيب. قالوا يا جحا عد موجات البحر؟ قال: الجايات أكثر من الرايحات. الذِبَّان يعرف لحية اللبّان. زمها العير وعشّرت. الدعاية كسرت تركيا. عليك بالدرب لو دارت وبنت الأجواد لو بارت. ذكر يا سويلم ذكر: طرفة يذكرها أهل المدن، يقال إنّ حضريّاً أعجبه جمال بدوية شاهدها مع زوجها في السوق، فتنكر بزيّ امرأة وجثا على جانب طريقهم إلى البادية، ومثّل أنّه امرأة في حالة ولادة فأخذ يئنّ، فطلب البدوي من امرأته أن تميّل عليها وتساعدها وابتعد هو عنها، فأمسك الحضريّ بالبدويّة فأخذت تستغيث بزوجها تقول ذكر يا سويلم ذكر، أي هذا ذكر وليس أمرأة تضع، ولكنّ البدوي ظنّ أنّها تبشّره بأنّ المرأة وضعت مولوداً ذكراً، فقال: الله يخليه لأهله. والبدوي لا تنطلي عليه مثل هذه الخدعة وهو الذي يقصّ الجرّة ويميّز الأصوات ويعرف أثر الجمل من الناقة والبكر من الثيّب والعبد من الحرّ،

وكيف لا تفصح البدوية عن مدى الخطر الذي واجهته، ولكن هكذا ركّبت هذه القصّة للتندّر.

درب البنات شوك. راس بلا كيف يستاهل سيف. الرِّجْل الخفيفة تستاهل تكتيفة. صاحب الحقّ سلطان. الغنم غنيمة وغناة مقيمة. رافق المسعود تسعد رافق المقرود تقرد. رجله في الركاب: كناية عن الاستعداد للسفر. رزق ناس من ناس ورزق الكلّ على الله. رزق الهبل على المجانين. رزق الكلاب على الروس المجنّنة. عاش زبيد بلا لبن. لا تحقر الذكير لنّه طول الشبير. الرجال ما تنكال بالصاع. أبو فروة يدلح لأبو جاعد. جدي يلعب بعقل تيس. زي تين العبيد هذي صابها هذي ما صابها. سوّاها رعية فرس: لا تنقطع الفرس عن الزرع. عوّاس السمّ يذوقه. مثل عجايز النوَر ثقل على الحمير وقطيعة على الزوادة. ما تلقى العطر غير عند البايرات. فاضي القرد لمعط الجلد. لا تناغش الدَّبْر والدَّبْر لاهي. الحقّ ما هو على إلياس الحقّ على اللي جاب القياس. صام عام وأفطر على بصلة. الخيّر يقول ويغيّر. السلام بالعين:

سلّم برمشك وخلّي ايدك بحنّاها   ياللي سلامك يردّ الروح مجراها.

الشراد ثليثن المراجل وإن سلّم المراجل كلها. كبير القوم خادمها. صلّ فرضك وانقب أرضك. طبع اللبن ما يغيّره غير الموت والكفن. عادة في البدن ما يغيرها غير الكفن. ما دامت الولاّدة تولّد ما على الدنيا كثير. ظرحة: ذرحة. ابن آدم ما يدبّ عينه غير التراب: أي الموت. لا يعجبك فرهود في أوّل طلعته يرد للجِدَّات تيس يقرَح. أعتاب ونواصي وكعاب وبعض من الذريّة. متعلّم الدقّة والرقْصَة. على قَدّ فراشك مدّ رجليك. أهلك لو لاكوك ما بلعوك. ربعك ربيعك. الغايب ما له نايب والنايم غطّوا راسه. يا غريب كن أديب. الغربة كربة (تربة). يوم من يوم قريب. إن كان صاحبك شاب أرجا خيره. حِبّ على راس مرتك في البيت أحسن ما تحِبّ

على راس عمك في الديوان. لولا الغيرة ما حبلت الأميرة.

وإيّاك في الدبّة جمل: يروى أنّ باخرة تحطّمت على شاطئ البحر وكانت محملة بأكياس مؤن، وانطلق الناس يجرّون البضائع من البحر، فتصادف أن أخرج أحدهم كيساً فعرّج على آخر يسأله عن بعير لينقل الكيس إلى بيته، وأراد الرجل أن يصرفه عن المكان فقال: يمكن ورا الدبّة هذيك جمل، فانطلق الرجل في الاتجاه الذي أشار إليه، فقال القائل: وإياك في الدبّة جمل وانطلق في أثره، كذّب الكذبة وصدّقها. في الوجه مراية وفي القفا سلاّية. لبس قُبْعه ولحق ربعه. معك قرش تسوى قرش. القفا هيشة: يلعن أبو السلطان في غيبته. سلامات يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي. قيس قبل ما تغيص ما ينفع القيس بعد الغرق. الكبير دفتر الصغير: الكبار ما خلوّا شي إلاّ قالوه. كثرة النهيق تجيب الضباع. الطبخة إن كثروا طباخينها شاطت والبنت إن كثروا طلاّبينها بارت.

الكذب ملح الرجال وعيب على اللي يصدّق. كل شاة معلّقة من عرقوبها. قالوا للديك صيح! قال كل شي في وقته مليح. كلّ شي قرضة ودين حتّى دموع العين. كلّ طير وله مجفال: مكان يجفل إليه، أو شيء يذعره. القرايب نصايب أي شواهد قبور. النفس ودَاعة راعيها. الكلّ ذنبه على جنبه. هرشه في كرشه. اللي في بطنه عظام يتحسسهن. اللي ياكل النّي بطنه توجعه. الكل همّه على قدّه لزازة فاس، الذيب همّ الغنم والناس همّ الناس. غير نصيبك ما يصيبك. الكلام إلك يا جاره لتسمعي يا كنّة. كلب ترمرم خير من سبع ربض. كنت راعي ونشلني ذراعي. لا تبول في مغارة يلزك الوقت تبات فيها. لا تشكي لي ابكي لك وعيوني بتهرّ دموع كان جوزك عرّاكِ أنا موّتني من الجوع. كانّك تحكّ له على جَرَب. الدبرا يتهايا لها الغراب. لا تقول فول غير لمّا تحطّ في العدول. لبّس العود يجود. لبّس البوصة تبقى عروسة. لبّس الخنفسا تبقى ستّ النسا. لحم حصيني لا ينشكر ولا ينذمّ.

اللسان الحلو يطلع الحيّة من جحرها. لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك. غاب وجاب.

نهيتك ما انتهيت والطبع فيك غالب ذيل الكلب ما ينعدل لو علّقوا فيه قالب.

اكسر رِجْل الكلب ودلّيها اللي فيه عادة ما يخلّيها. قلبي على ولدي انفطر وقلب ولدي على حجر. صيدته جرادة. الليل سروال الفتى والذيب. ما تعرف خيري غير لمّا تجرّب غيري.

اللي يكسر ما يعدّ أقداح. يا روحي ما دونك روح. ما في الحيّات حيّة ساهلة. ما في عينه البلّة. ماش عيب غير اللي ينحطّ في .... . ما طقّ إلاّ من حقّ. ما أوان يستحي من أوانه.

ما كلّ من لبس العمامة يزينها ولا كل من ركب الهدب خيّال

المال السايب يعلّم السرقة. متى لك في القصر؟ من أمس العصر. الغلط مردود. متحاسدين النور على فيّ (ظِلّ) الشجر. اللي ما يعرف الصقر يشويه ويطوطحه من جناحه. الصيف بساطه واسع. المطر شدّة ولو أنّه فرج. مطرح ما تمسي ارسي. ما قدّام الخيل جري. العتاب صابون القلوب. الصلح سيّد الأحكام. من حب عبد عبده ومن حب حجر نقله. كل واحد يزيح النار على قرصه. العبي لعباً كويّس أمّا قريصي لا تطيه. من عمود لعمود يفرجها الرب المعبود. مية أمّ تبكي ولا أمّي تقول أخ. النار فاكهة الشتي واللي ما هو مصدّق يصطلي. الناس في الناس والقطة في النفاس. درّة ناقة. لطمت حوارها. الكثرة غلبت الشجاعة.

النوم والراحات والعزّ والهنا ربيع النسا والرجال الهلايف. لا طاح الجمل كثرت سكاكينه. هنيال من وفّق راسين بالحلال. وعكسه: امشِ في جنازة ولا تمشي في جوازة. اليد ما تشاور.

هيك مزبطة بدها هيك ختم: يضرب في الأشياء المتشابهة سوءاً. تصلح له ويصلح

لها. وجه تعرفه خير من وجه تجهله. وعكسه: تغيير الوجوه رحمة.

جاء الصرصور إلى النملة ليقترض منها حبّاً في الشتاء، فسألته: وين كنتم أيام الحصايد؟ قال: كنّا نغنّي قصايد. قالت: عندكم الشقوق يا علوق. وبقيت الصراصير تسكن شقوق الأرض حسب نصيحة النملة. ابن الحرام ما خلّى لابن الحلال اكتساب. ابن الحرام لا ينام ولا يخلّي الناس تنام. أيش هو الصوص وأيش مرقته.

يا خروف ذيلك عجّح! قال: كلني ولا تتحجج: يروى أن ذئباً التقى بخروف في غابة، وكان الذئب شبعاً، فقال للخروف، تعال نتآخى ونسكن معاً في هذه المغارة، فوافق الخروف حيث لا حيلة له ولا قوّة، وبعد أيّام جاع الذئب وقرّر أن يفترس الخروف، فقال: يا خروف ذيلك عجج، أي يثير عليّ العجاج والغبار، علماً أن إلية الخروف أي ذنبته ملتصقة به ولا تصل إلى الأرض لتثيرها، فأدرك الخروف أنّ الذئب يتذرّع بحجج واهية فقال. كلني ولا تتحجّج.

يا دار ما دخلك شامت. يا طالب الزود يا واقع في الخَسَس. يا طالب الملاح لا تكون نوّاح.

ياما الجمل كسّر بطيخ، وياما البطيخ كسّر جمال.

يا مذراتي ودي وهاتي دبّي عباتي لوليداتي: حداء التذرية.

يا مستعجل وقّف لأقول لك. يا مستعجلين ريّضوا. يا رايح كثّر ملايح.

* * *

– نشر في صحيفة أخبار النقب، عدد ٣٩٣، الصادر في ٢٥ نيسان ٢٠٠٦.

– وفي موقع مؤسسة فلسطين للثقافة على الانترنت.



من اليمين: شاب من كفر مندا، صالح زيادنة، محمود أبو غظية وسهيل عيساوي في يوم زواجه بتاريخ ٢٠/٠٧/٢٠٠٢م.

الرسُوّ في ميناء الشاعر صالح زيادنة وكتابه «أنغام حائرة».

بقلم: سهيل عيساوي



الشاعر صالح زيادنة شاعر مُجِدّ لا ينفكّ يزفّ إلينا القصيدة تلو القصيدة، والأبحاث الجادة مثل كتابه «من الأمثال البدوية»، الذي جمع وشرح معظم الأمثال العربية والبدوية، بالإضافة إلى مساجلاته على شبكة الانترنت واشتراكه في الأمسيات الثقافية والأدبية في النقب والجليل، ومساهمته الكبيرة في دعم الصرح الأدبيّ في النقب.

في كتابه الأخير بعنوان «أنغام حائرة» الصادر عام ٢٠٠١، يقع الكتاب في (٧٤ صفحة) من الحجم المتوسط. وإن كان الشاعر قد أطلق على كتابه اسم «أنغام حائرة» لكنه شخصياً غير محتار ولا متردد فيما يقوله لنا.

في قصيدة زهرة الجنوب (صفحة ٥) يظهر لنا مدى حبه وانتمائه لتراب الجنوب ولمدينة رهط مسقط رأسه، ويعرب عن انتماء أهل النقب إلى الأمة العربية عريقة الجذور والتي تتخذ من الشهامة رايةً لها. في السطر الخامس يقول:

«تجري دماء العُرْب في أوصالنا

من خالصِ الأنسابِ والأعراق»

وفي الصفحة السابعة من الكتاب يكشف لنا مدى حبّه وإخلاصِه للجنوب الذي يُلهمه كتابةَ الشعر والإبداع:

«أنا ما كتبت الشعر لهواً إنما

حُبّ الجنوب يفورُ في أعماقي»

وفي قصيدة أخرى خصّصها لمدح مدينة رهط (صفحة ١١) يكشف لنا الشاعر كم هو متيم بمسقط رأسه، فهو من تغنّى ونظم الشعر في مدينة رهط فرفع اسمها عالياً، يقول في صفحة ١٢:

«ورفعتُ اسمك يا بلادي عالياً

وجعلتُ ذِكرك في ذُرى الجوزاء

يا رهط من أنت بغير قصائدي

وبغير شعري في الهوى وغنائي

وأتيت أغرس في قفارك جنةً

وزرعتُ فيك محبتي ووفائي»

نلاحظ أن الشاعر يعتزّ بالبيئة التي نشأ وترعرعَ فيها من خلال تكراره للكلمات التي تدل على محيطه مثال كلمة «رهط» تكررت ٥ مرات، وكلمة «جنوب» تكررت ١٣ مرة، وكلمة «نقب» تكررت ٦ مرات، وكلمة «بيداء» تكررت مرتين، وكلمة «صحراء» تكررت ٦ مرات.

وفي قصيدة «دموع على ضريح القلب» (ص ١٨) والتي كتبها بعد وفاة والديه والتي تبدو مزيجاً من الرثاء بفقدان أغلى ما يملك الإنسان، واعتزاز بالجنوب الذي يثقل الشاعر بالأحزان، ص ١٩ يقول: «جنوب أمّي في رُباك/ وأبي هناك/ على بساطٍ من ثراك/ وأنا تسيل مدامعي/ ويثور في صدري هواك/ أنفاس أمي وأبي».

وفي قصيدة أخرى خصّصها الشاعرُ لرثاء الشاعر الكبير نزار قباني الذي افتقده الشاعر وتفتقده أمة الضاد، (ص ٨) تحت عنوان «دمعة على نزار» نلاحظ أن الشاعر في القصيدة السابقة في رثاء والديه أطلق الدموع، وعلى فراق الشاعر العربي

نزار قباني حرر دمعة لكن في داخلها أنهار من الدموع:

«نزارُ يا فارسَ الأشعـارِ معـذرة

إن جاءَ شِعري بجمرِ الحزنِ يلتهبُ

أنا كم حبستُ دموعي عند فقدكم

حتى تهاوت في الآماقِ تصطخبُ

رفقاً بقلبٍ عليـلٍ قد أحبّكـم

قد أشعلَ الشِّعْرَ ناراً ما لها حطبُ»

وفي قصيدة «الشاعر المحزون» (ص ٢٧) لعل الشاعر يقصّ علينا قصته الشخصية أو قصة كلّ شاعر يتألم من هول ما رأى حوله من جرائم وغشّ وخداع في هذا الزمن الأصفر، «الشاعر المحزون/ يحمل الحقائب القديمة/ ويمضغ التاريخ/ ويشحذ القريحة العقيمة/ مسافر يسائل الزمان/ عن بيته .. عن أهله .. عن عمره/ في رحلة الإحباط والحرمان».

لكن الشاعر المحزون يستطيع أن يقلب الأمور رأساً على عقب ويُشعل الحرائق من خلال قصائده وإن كان يذرفُ الدموع (ص ٢٩) «الشاعر المحزون/ يفتح الحقائب القديمة/ وينثر الأوراق في عُرْضِ الطريق/ وينثر الأشعار والقصائد اللعينة/ ويُشعل الحريق».

والشاعر صالح الزيادنة لا ينسى قسطه من القصائد الغرامية الرقيقة وإن كان يكتبها بحياءٍ دون السير على خطوات الشاعر نزار قباني الذي رثاه في كتابه وهي: «أنت الملاذ» ص ٣٦ ، «الحسناء والشاعر» ص ٣٩ ، «خمس رحلات في عينيها» ص ٤٥ ، وقصيدة «لو كنت معي» ص ٤٦.

في قصيدة خمس رحلات في عينيها، يقول الشاعر: «في عمق عينيك/ أخلع معطفي الشتوي/ وحيائي الأبدي/ وأسبح عكس التيار/ وأشعر بحنانك يغمرني».

يختتم الشاعر كتابه بمساجلاتٍ وحواراتٍ أدبية بينه وبين عدد من الشعراء وهم:- جمال حمدان من السويد، وعمر مطر الشاعر الأردني المقيم في الولايات المتحدة، والشاعر محمود أبو غظية من مدينة رهط، وشاعر يحمل اسم سُلاف يوقع بهذا الاسم قصائده في الانترنت.

خلاصة:

الشاعر صالح زيادنة في كتابه «أنغام حائرة» قدَّمَ لنا أنغاماً جميلة تُعالج عدة مناسبات بثوبٍ مزركشٍ بالعبارات الرقيقة وكلمات الحبِّ والمحبة تارة، وتارة بحزنٍ عميقٍ ينمّ عن نفسٍ صادقة، نتمنى له كل الخير في مشواره الأدبي ليظلّ يشدو لنا غناءً أجمل وأحلى من واقعنا المر.

* * *

- نشر في صحيفة أخبار النقب: العدد ٢٩٥، الأحد ٢ آذار ٢٠٠٣.



قراءة في «حكايات من الصحراء»
للشاعر صالح زيادنة

بقلم: عامر دهامشة

يحتوي الكتاب، وهو من الحجم المتوسط، على ٥٦ قصة شعبية جمعها الشاعر صالح زيادنة من أبناء رهط حيث يقطن الشاعر.

عملية الجمع والبحث عن المخبرين والرواة لا يستهان بها إذ أنها تتطلب بذل الكثير من الوقت، المثابرة والجد.

«موتيفات» الكرم، الفروسية، الذكاء والدهاء، الحياة العائلية والعلاقات الزوجية، الجن والعفاريت هي «الموتيفات» البارزة في قصص «حكايات من الصحراء».

من ناحية اللون الأدبي «genre» تصنّف هذه الحكايات تحت ما يسمّى بـ«الحكاية الخرافية» «folk tales»، بحيث يشكّل عنصر العجائب والغرائب محوراً مركزياً لهذا اللون، أما الشخصيات فغالباً ما تتسم بالقولية والنمطية (الساحر والأمير كمثال)، فالأبطال لا يرتبطون بوجود تاريخي واقعي، بل يكون البطل، بشكل عام، خرافياً أو أسطورياً أو حيواناً الخ.

أما بالنسبة للزمان والمكان فإن هذا اللون يسعى للتخلص من محدودية الزمان والمكان، فالزمان غير محدد (كان يا ما كان) والمكان غير واقعي ووهمي (وراء البحار وبلاد الله)، وفي هذا السياق لا بدّ من توجيه بعض الإرشادات والتوجيهات، المعمول بها علمياً وأكاديمياً، إلى المؤلف وإلى كل الذين يهتمون بضروب الأدب الشعبي. كان على الكاتب أن يقدّم القصص ويوثقها مثلما وردت على لسان الرواة والمخبرين وألا يقوم بتعديلات على اللغة واللهجة، وبعبارة أخرى كان يجب عليه الحفاظ على اللهجة المحلية البدوية واللغة الدارجة وتقديمها للقاريء على

طبيعتها، لأن اللغة الدارجة جوهرية لتذوّق فن الحكاية الشعبية ومن خلالها نرقى أكثر لتذوّق الحسّ الروحاني والوجداني الكامن في نفس الراوي، بل إن اللهجة هي عبارة عن أحد معالم هوية المجموعة التي تسرد القصص، وبالتالي إذا لم نحافظ على هذا النسج فإن القصة تفقد من ملامحها الشعبية، ومن ناحية أخرى فإن العمل وفقاً لهذا النهج قد يساهم في الحفاظ على اللغة ويبقيها على قيد الحياة، فاللغة كأيّ حيّ تحيا وتموت.

وعلى أيّ حال إذا كان لدى الكاتب أو الباحث أدنى شكّ في أنّ القاريء لن يفهم العبارات والكلمات الواردة باللهجة المحلية، فعندها، وهذا متّبع أكاديمياً، توضع المفردات اللغوية بالحواشي المذيلة.

كذلك تكتب الأبعاد الاثنوغرافية والاثنولوجية في الحواشي لتمدّ القاريء بالمعلومات المساندة للنصوص وتفسّر الجوانب الغامضة.

الملاحظة الثانية تتعلّق بالرواة والمخبرين، فكان من الأجدر ذكر أسمائهم ومكان إقامتهم، ولا يقل أهمية عن ذلك الدور الذي تلعبه هوية الراوي الفردية والجماعية بالنسبة لاستنتاجات الباحث.

الملاحظة الأخيرة تتعلّق بالمضمون والفحوى، إذ أن هناك إهمالاً واضحاً في الكتب التي تتعامل بهذا اللون لبعض المضامين، والمقصود هنا الأسطورة المكانية أو أسطورة المكان والأسطورة التاريخية، فأسطورة المكان عبارة عن قصص تتطرق إلى تفسير أسماء الأماكن والبلدان، أما الأسطورة التاريخية فهي القصة التي تسرد حدثاً له صلة بحادثة أو بشخصية تاريخية.

في اللونين الأدبيين المذكورين يكون المكان والزمان والشخصيات أكثر واقعية وحقيقية، وهي ذات صلة وثيقة بهوية الجماعة وماضيها، بل تكون لبنة في الذاكرة الجماعية.

فالمطلوب توثيق قصص تتمحور حول البيئة الطبيعية والجغرافية، جغرافيا السهل والجبل، المغارة، الشجرة وعين الماء، قصص تروي قصة المكان، المكانة تاريخهما وشخصياتهما، فمن خلال هذه القصص يمكن استنباط الكثير عن هوية المكان الجماعية ويمكن فهم «الخارطة» الذهنية والجغرافية النفسية للجماعات التي ترويها.

في «حكايات من الصحراء» لم ترد سوى أسطورة تاريخية واحدة وهي «الضابط التركي» فإلى جانب الحكايات الخرافية الواردة في الكتاب والتي لا يستهان بها أبداً، يجب توثيق الأساطير التي تبرز الصحراء، عوالمها، هضابها وتلالها، والشخصيات والأحداث التاريخية التي تجري في رمالها وهجيرها.. باختصار قصص عن الصحراء وليس من الصحراء فقط.

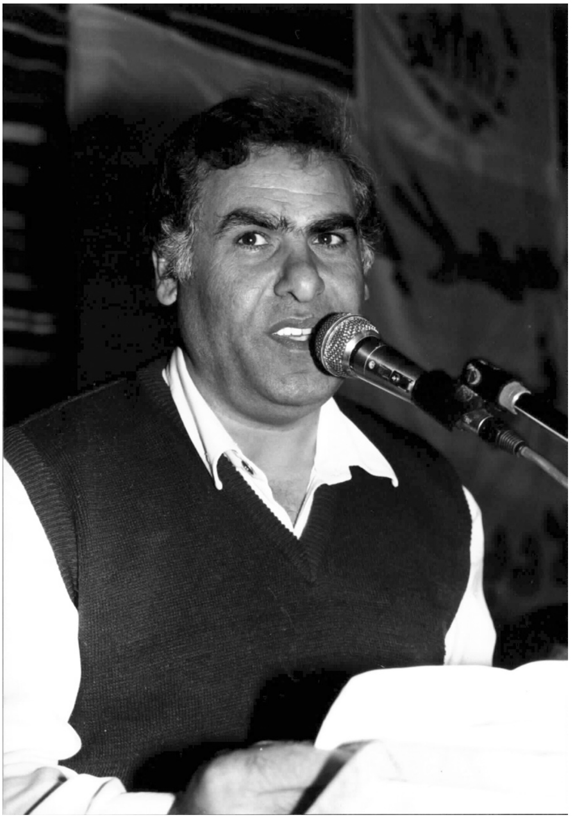
وبالتالي فإن توثيق الكاتب لهذه الحكايات التراثية يعتبر انجازاً يستحق الثناء ويساهم في الحفاظ على ما تبقّى من هذا التراث، فالوقت والعمر يمضيان، وإذا ما طالت يد القدر أجدادنا وآباءنا وأمهاتنا فسيكون الاندثار من نصيب هذه الحكايات.

* * *

(كفر كنا)

الكاتب يعدّ (في حينه) لشهادة الدكتوراة في الأدب الشعبي في الجامعة العبرية.

*** نُشر في ملحق الصنارة ***



في الأمسية الأدبية في مدرسة الرازي في رهط بتاريخ: ١٩٩٨/٠٣/١١م.

قراءة في كتاب «حكايات من الصحراء»
للباحث صالح زيادنة من النقب الفلسطيني

عرض وتعليق: د. إدريس جرادات

يقع الكتاب في ١٦٦ صفحة من القطع الصغير، ويحمل الغلاف لوحة فنية لفتاة بدوية بزيّها الشعبي وخلفها مجموعة من الإبل مع شخص يركب على ظهر جمل ومساحة واسعة من الغلاف – ثلثي المساحة للسماء الزرقاء – وأما الغلاف الأخير يضم صورة شخصية للباحث، ومقدمة الكتاب، صدرت الطبعة الأولى منه في شباط ٢٠٠٣ م بدعم من بلدية رهط.

أهدى الباحث الكتاب إلى كل إنسان يحب أهله ووطنه ودينه وعروبته، ويحب تراثه ويفخر به ويراه جزءاً من تاريخه.

يذكر في مقدمة كتابه «أن هذا الكتاب جاء من أجل الحفاظ على تراثنا الشعبي وهويتنا القومية وعلاقتنا بالأرض والإنسان والمجتمع»، وفي تقديمه للكتاب يتحدث عن الحكاية من حيث مفهومها ودورها في التواصل بين الأجيال وعمليات التحريف والتغيير.

قسمَ الباحثُ الحكايات حسب مصدرها إلى ثلاثة أقسام – حكايات أهل الصحراء – التي تدور حول الجن والعفاريت والغول ومناطق الوحشة والخوف أو المسكونة – وحكايات أهل القرى وتدور حول الفقر والتطلع إلى الغنى عن طريق عفريت من الجن أو العثور على كنز أو آثار قديمة، والسحر والشعوذة والوفاء والكرم – وحكايات أهل الحواضر والمدن التي تدور حول التجار ومغامراتهم ومغامرات أبنائهم وقصص الغش والمكر والخداع وقصص الجواري والخدم وقصص الغرام.

ثم قسم الحكايات حسب مضمونها إلى نوعين، نوع يكثر فيه الخيال وتتكلم

فيه الحيوانات، والنوع الآخر قصص وحكايات هادفة يستعملها الرجال في مجالس السمر.

وإن للحكاية الشعبية أهدافاً تربوية منها توسيع أفق الطفل وإطلاق العنان لخياله وإعطائه فرصة للاستماع والاستيعاب والحفظ والخروج من دائرة الخجل ومن سلبياتها، أحياناً تستخدم لإخافة الطفل وإفزاعه والإكثار من حكايات الجن والعفريت والغول الذي يأكل بني البشر التي تزرع فيهم الإحباط والخوف الداخلي والقلق وعدم الثقة بالنفس، فلا يستطيع الطفل الخروج في الليل وحده.

ضم الكتاب ٥٦ قصة شعبية بدون تصنيف أو تعليق وعليه يمكن الإشارة إلى الملاحظات التالية: –

١– تحاشى الباحث القصص التي تحتوي على مواضيع مخلة بالأخلاق والقصص الماجنة البذيئة وكذلك التركيز على القصص الواقعية، وتعريف المفردات والمصطلحات الواردة في القصة في الهوامش.

٢– أن تتناسب الرسوم الكاريكاتيرية والصور مع محتوى القصة.

٣– أن يكون عنوان الكتاب قصص شعبية من البادية، لأن الحكايات مرتبطة بالخيال والجن والعفاريت والحيوانات الخرافية والأساطير والخوارق.

٤– اعتماد أسس ومعايير محددة في تصنيف وفهرسة القصص الشعبية.

٥– ذكر اسم الشخص الذي تمت مقابلته وتاريخ المقابلة ومكانها.

٦– تحديد قائمة المراجع والمصادر التي اعتمدها.

٧– عرض القصص على متخصص في التراث الشعبي لكتابة تصدير أو مقدمة لها.

٨– التعليق على القصة وبيان قيمتها التربوية أو الهدف منها.

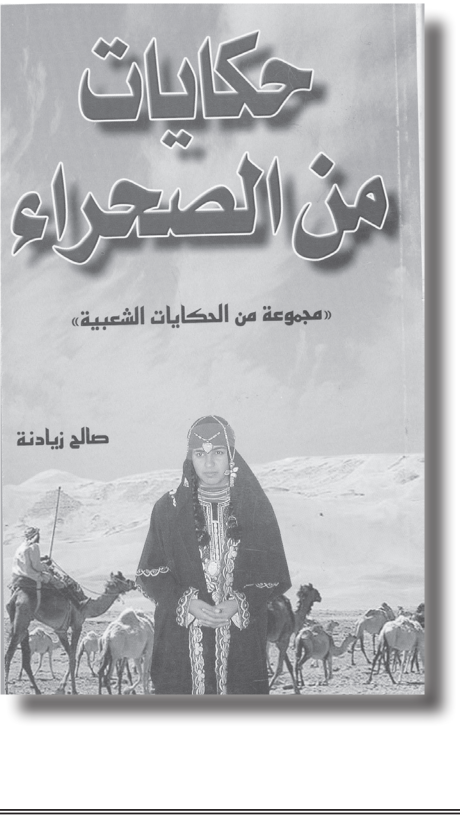
ونقول الشكر كل الشكر للباحث صالح زيادنة ابن النقب الذي يعيش جو البادية

والصحراء دون تكلف ويعتبر هذا الكتاب درة ثمينة وجوهرة نادرة تضاف إلى المكتبة التراثية.

وكلنا أمل أن يلقى هذا الكتاب كل الدعم والمساندة من قبل الكتاب والباحثين والإعلاميين والمهتمين بالاقتناء والقراءة والتعليق والدراسة والتحليل.

ونتطلع إلى جوهرة أخرى من الباحث حول عادات وتقاليد وقيم وأعراف البدو في النقب الفلسطيني إن شاء الله والى الأمام، وقد قررت أسرة مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعير منحك شهادة عضوية شرف مع مسوغات التكريم المتعلقة بمنح هذه الشهادة.

* * *





مع الشاعر د. جمال قعوار في الندوة الشعرية في بلدة حورة بتاريخ ٢٠٠٢/٠٢/١٢م.

«من كلّ وادٍ عصا» للشاعر والكاتب صالح زيادنة

بقلم: موسى الحججوج



إنه دائماً يفاجئني بهذه المفاجأة السارّة والتي تُثلج القلبَ وتُعيد إليك شُحنتك الفكرية من جديد، في لقاءٍ صغيرٍ في منزله فاجأني مفاجأة من العيارِ الثقيل وهذه المرة أيضاً بالكتاب العاشر له والذي يحمل اسم «من كل وادٍ عصا»، لم أتمالك نفسي من شدة الفرح حين رأيتُ هذا العمل الجبار والطموح والنوعي للأخ ورفيق الكلمة «أبو جمال»، وحملت الكتاب لأضمه إلى صدري نشوةً وبهجةً به.

الكتاب من القطع المتوسط ويقع في ١٦٠ صفحة مع غلافٍ برّاق، أثناء قراءتي للكتاب رأيتُ أنه يحمل في ثناياه العنوان «من كلّ وادٍ عصا»، ووجدت أنه كتاب جامع وشامل حيث يسرد لنا الكاتب ذكريات مرحة وعذبة وأخرى حزينة من حياته، ومن هذه الذكريات ما كان في البيت، وأخرى أثناء الدراسة وأخرى في الأماكن الجماهيرية في البلد، سمّاها الشاعر صفحات من سِجِلّ الذكريات، وفي الباب الآخر وجدت قصص من حياة الشعراء ويقصد شاعرنا صالح نفسه وغيره مما حدث معه في حياته وهو يبحث عن الحرف والكلمة في زماننا الضائع، وفي الأبواب الأخرى نجد قصص وحكايات رائعة وشيقة وطريفة من كنوز التراث الشعبي وكذلك حفنة من الأمثال الشعبية وباقات منوعة من العبارات الشعبية وغيرها من المقالات الاجتماعية الهادفة.

الكتاب يُعتبر في نظري نقلة نوعية في كتابات رفيقي الطيب أبو جمال حيث

أعجبتُ بهذا التحوّل مع معرفتي التامة بما يجول في خاطره من أفكار وآلام تسكن قلبه منذ زمنٍ طويل، والحزن رفيقه منذ أن نزلت دمعته الأولى على تراب الأرض، أعُجبت بكافة ما كُتب في الكتاب، وأُعجبتُ كثيراً بالقصة التي تحمل عنوان «خرزات عمتي» صفحة ١٣٦ والتي يُجسّد فيها شاعرنا صورة واقعية لحياتنا العربية في النقب والتي أخذت تتلاشى شيئاً فشيئاً.

لن أكتب عن بقية القصص والحكايات العذبة لكن سأتركها للقاريء ليبحث عنها في الكتاب لينهل منها وليتفكّر فيها عبر الرسو في ميناء صفحاته.

لن أتفاجأ مرةً أخرى من عملٍ جديدٍ يعكف عليه صديقي أبو جمال، فقد عوّدني دائماً على العمل وعدم الانحناء لأي عثرةٍ من عثرات الزمان التي لا ترحم، وأعرف أنه في هذه الأيام يوشك على الانتهاء من عملٍ أدبيٍّ جديد ليرى النور في نقبنا الغالي.

وبالرغم من الجفاف الفكري والأدبي في النقب سيبقى صديقي أبو جمال صامداً شامخاً مرفوع الرأس لا يستسلم ولا يملّ ويشقّ بأنامله الإبداعية داخل صخرات الجهل ليفجرّها وليُخرجَ من جوفها صورةً جميلةً ومباركة وهي كتاب جديد، فهنيئاً لك أخي أبو جمال ومن عطاءٍ لآخر فمنك تعلمتُ العلم والمعرفة والأدب والتراث، وكما عاهدتني أنك لن تترك النقب يجفّ من الكتب والكتاب..

مبروك ووفقك الله.

* * *

أخبار النقب: العدد ٦٩٤ ، الثلاثاء ٢٢ أيار ٢٠١٢، ص ٤.

مسحة الحزن في شعر صالح زيادنة

بقلم: موسى الحجوج

لا زال على عهدي به إنساناً أنيقاً مبتسماً عند لقائك به، لبقاً في الكلام متزن الأفكار ولكنه يحمل في أحشائه وأعماقه هَمَّ وأَلَمَ أُمةٍ بأكملها، فمنذ زمنٍ طويلٍ والحزن رفيقه والدموع الصامتة صديقته، وهو غير مقطوع عن جسد مجتمعه أو أمته، بل هو أشدهم التصاقاً به، وأكثرهم محبةً لأهل بلده وشعبه، ولكنه يحزن لما يراه من أحوال الناس وتقلبات الحياة وترسبات الماضي التي عفا عليها الزمن وما زالت مترسخة في عقلية كثير من الناس، ومن هنا سنبدأ رحلتنا مع هذا الشاعر، وسنسير معه في محطات شعره المختلفة، لنرى ماذا يختفي وراء تلك الابتسامة الوادعة التي يلاقيك بها هاشاً عندما تلتقي به، أو عندما تتحدث إليه، ولكنه يطوي الكشح على حزن وألمٍ عميقين لا تشعر بهما إلا وأنت تبحر في ثنايا شعره، وتعيش معه في عوالم إلهامه وسحره.

ففي قصيدته «ضياع شاعر» يتجلّى ذلك الحزن بأعذب صورِه، فشاعرنا يكتب الشعر والحزن يرافقه، وولادة أي قصيدة أو حتى أي بيت من القصيدة لا يولد ببساطة بل بعذابٍ وألمٍ ودموع، فهو يخاطب مُلهمته التي يسميها ليلى على اسم محبوبة قيس ويقول لها:

لو تعرَفُ ليلى المسكينةُ ما معنى الشِّعْر
لو تعرفُ ليلى كيفَ يفورُ الدمُ ويغلي القَهْر
لو تعرف ليلى كيفَ أعيشُ الحُزنَ، وألوكُ الصبر

وهنا يبين لنا شاعرنا كيف يُولد الشعر، وظروف كتابة القصيدة وذلك بأروع الصور والمعاني والتعابير في صورة رمزية مخاطباً ليلى التي عانت وذاقت مرارة

الحب واكتوت بنار العشق، أما شاعرنا فاكتوى بنار الحياة ومشاقّها إلا أنه استطاع أن يُحوّل تلك الآهات والدموع إلى تُحفة جميلةٍ رائعة بقصيدة جميلة تبحر بقارئها في محيط الحزن، ويستمر شاعرنا في نفس القصيدة ويبين لنا جهة حزنه ويقول:

لا أعرفُ حُزناً في الدنيا

أكبرُ من حُزْنِ الشَّرق

وربما يقصد شاعرنا في تلك القصيدة آلام أمته وما تتعرّض له يومياً من ويلات ومصائب، ولذلك فهو يشاركُ بعقله وجوارحه في حزن أمته، التي هي منبع وحيه وإلهامه وموئل وجوده وكيانه.

آهِ من قلبي الذي .. قد ضاعَ في الدُّنيا دَلِيلَه

آهِ من شوقي الحزين .. ولهفتي الحيرى الكَلِيلَةْ

كُلَّمَا سَارَ فؤادي في حَيَاءٍ لِدَلِيلَةْ.

وهنا في هذه القصيدة التي تحمل اسم «نهاية حب» تتجلى آهات وآلام الشاعر الحزين، فهو يقول إنه أضاع بوصلة أفكاره وفقدها في هذه الفانية، وهو يبحث عن المراد والدليل ولكن بحزنٍ شديد يترافق مع أحزانه وآهاته التي أعرفها جيداً والتي أضحت ومنذ زمنٍ طويل جزءاً من حياته.

ويحزن شاعرنا على رحيل الشاعر نزار قباني الذي توفي قبل أعوامٍ قليلة، وقد كتب يرثيه بقصيدة كانت من أقوى قصائد الرثاء في نزار قباني، وقد تحولت إلى قصيدة طلائعية في العالم العربي، يقول شاعرنا فيها معبراً عن حزنه على وفاة نزار:

ماذا أُحَـدّثُ والأشعـارُ باكيـةٌ ... دمعٌ هتونٌ عَلَى الخَدّيـنِ ينسكبُ

جَفَّ المِدادُ وغَاضَتْ في مَحَابِرِهَـا ... كلُّ الحروفِ فكيفَ اليومَ تنكـتبُ

فتجد أن الأشعار تبكي لفقدان نزار، والدموع تُسال على خدي الشاعر حزناً

على فراقه.

ويعشق شاعرُنا الجنوبَ أي النقب وهو لا ينقطع عنه ويحبّ النقب ملياً كسائر البلاد ويقول إن في الجنوب أمه وأباه وأهله وهو يقول:

جَنُوبُ أَنْتَ فِي دَمِي
وفِي إِفْتِرَارَةِ مَبْسَمِي
فِي ضِحْكَتِي .. فِي دَمْعَتِي
فِي مِسْحَةِ الحُزْنِ التي
تَغْفُو عَلَى شَاطِيء فَمِي.

ويتذكر شاعرنا الحزين والديه رحمهما الله تعالى وخياله مليء بالذكريات بهم وقد حزن حُزناً كثيراً على فراقهما وحبه للجنوب كحبه لأبيه وأمه فهو يشبههما بالملائكة ويصف أنفاسهما بأنها كنسماتٍ عذبةٍ تتطاير عالياً في السماء، ويقول في القصيدة نفسها:

جَنُوبُ أُمِّي فِي رُبَاك
وَأَبِي هُنَاك
عَلَى بِسَاطٍ مِنْ ثَرَاك
وَأَنَا تَسِيلُ مَدَامِعِي
وَيَثُورُ فِي صَدْرِي هَوَاك
أَنْفَاسُ أُمِّي وَأَبِي
فِي الجَوِّ تَعْبقُ كَالعَبِير
وَحَدِيثُهُم كَحَنِينِ حَسُّونٍ حَزِين
يَذُوبُ مَعْ هَمْسِ الخَرِير
وَأَطْيَافُهُم بَيْضَاء تَبْدُو

كَالمَلائِكِ فِي السَّمَاء
كَدُعَاءِ قِدِّيسٍ يُرَفْرِفُ
بَيْنَ هَالاتِ الضِّيَاء
فِي كُلِّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ أَرَاهُمَا
رَبِّي سَأَلْتُكَ أَنْ تَبلَّ ثَرَاهُمَا
أَتَرَاهُمَا يَا حَسْرَتِي
يَسْمَعَانِ صَدَى النُّوَاح
وَالرِّيحُ تُعْوِلُ فِي المَسَاءِ وفِي الصَّبَاح.

وفي قصيدته «الشاعر المحزون» يتساءل شاعرُنا عن الرفاق والحزن يكوي بناره جسده وأحاسيسه فهو يتساءل ويقول:

الشَّاعِرُ المَحْزُونُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ
أينَ الرِّفَاق؟
ويَصْفَعُ الجَبِين كَأَنَّهُ يُخَاطِبُ الحَنِينَ والأَشْوَاق
لَعَلَّهُ قَدْ تَاهَ فِي الصَّحْرَاء
أو ضَاعَ فِي مَوَاكِبِ الإعياءِ والإرْهَاق.

ولكنه في نهاية القصيدة يقرر أن يحرق أوراقه ويطوي صفحةً من حياته لينسى بعض الذكريات المؤلمة والتي يؤثر أن تغيب في ظلمة النسيان فنراه يقول:

الشَّاعِرُ المَحْزُونُ يَفْتَحُ الحَقَائِبَ القَدِيمَة
وينثرُ الأوراقَ فِي عُرْضِ الطريق
وينثرُ الأشعارَ والقصائدَ اللعينة
ويُشعلُ الحريق.

ويُكثر شاعرنا من تساؤلاته في قصيدته الرائعة «متى» فهو يسأل الشاعر الذي

بداخله إلى متى ستبقى حزيناً؟ وهو يؤكد أنه رغم حزنه وألمه إلا أنه سيظل يُغنّي للناس ويغرّد لهم أعذب الألحان وأجملها، لأن البلابلَ حتى لو كانت حزينةً إلا أنها بشدوها تشنّف الأذان وتفرح القلوب، فها هو يقول:

مَتَى .. ومَتَى؟!
تَعِيش العُمْرَ مَحْزُونَاً
وَتُنْشِدُ للوَرَى نَغْمَةْ
تَعِيش العُمْرَ مَهْزُومَاً
وتَزرعُ في الرُّبَى حِكْمَةْ
مَتَى تدري رُبوع النَّقْب
بأَنَّكَ شَاعِرٌ يَشْدُو
ويُخْفِي في الحَشَا سُقْمَهْ.

وهكذا كانت رحلتنا مع شاعر من أبناء النقب، وَهَبَ عمره وحياته من أجل خدمة أهله ووطنه، وغنّى لهم رغم حزنه وألمه وما يزال يصدح بين الحين والآخر بقصيدة في حبّ النقب وحبّ الجنوب يودعها زفراتٍ من قلبه الكبير، ويبثّ فيها أحاسيسه ليُسعدَ الناس ويرى ابتسامات السعادة والرضى ترتسم على وجوههم وفي هذا سعادته ورضاه.

نتمنى لشاعرنا الصحة والعافية وأن يظل مغرداً في سماء جنوبنا، وأن يحقّقَ ما تصبو إليه نفسه من توثيق التراث وحفظه، وأن نلتقي به مرة أخرى في زاوية من زوايا أدبه وشعره.

* * *

راهط: ١٩ / ٥ /٢٠١٠



في المدرسة الثانوية في بلدة شقيب السلام في النقب مع رئيس المجلس سعيد الخرومي في الوسط ومدير المدرسة د. محمد الحمامدة في اليمين.

صالح زيادنة فارس من الصحراء

بقلم: سهيل إبراهيم عيساوي – كفر مندا

كثيرة هي الوجوه التي تتعرّف عليها بحكم عراكك مع الحياة، والتعامل مع الآخرين في ميادين الحياة المتعددة، وفي كافة أنحاء البلاد من شمالها إلى جنوبها، لأن الوجوه الأصيلة، تجد طريقها إلى القلب بسهولة وسلاسة دون أن تشعر، عندما قررت الدراسة في جامعة بن غوريون في بئر السبع، والتي لم تطأ قدمي أرضها من قبل ولم تحرقني شمسها من قبل، وبحكم اهتمامي الواسع بالصحف والأدباء، استوقفتني صحيفة أخبار النقب، واسم الشاعر صالح الزيادنة، رجل على ملامحه تقاسيم الصحراء والصدق في البداوة ومودة الغير وتحمل المشاق والصبر من أجل سعادة الآخرين.

عندما قررنا تأسيس رابطة أقلام الجنوب، في جامعة بئر السبع، لزيادة النشاط الثقافي في الجامعة والمنطقة، والتقارب بين أطياف وأقانيم الوطن ومركباته من الشمال والمثلث والجنوب، ومن أجل إرساء هذا الصرح الجديد ونجاح هذا المولود الجديد، لا بد من الشراكة مع رائد الكلمة في الجنوب، فهو يعرف من أين تؤكل الكتف، قطع شوطاً طويلاً مع الأدب، مع الشاعر صالح الزيادنة، والأستاذ يوسف الطوري، والكاتب كرم أبو مخ، وكفاح عسلية، وحسام غنايم، وسلمان الطوري، معين عيساوي، ومحمد عبد الغني، آمال أبو عمرة، متعب أبو ناصر، كانت هذه النواة للرابطة، فقمنا بإصدار مجلة الينبوع ووزعناها قطرياً ٥٠٠٠ نسخة، وأصدرنا أكثر من عشرة كتب لأعضاء المجموعة، وشجعنا الأقلام الناشئة وأقمنا الأمسيات الأدبية في الجامعة ومدينة رهط وتل السبع والورشات الأدبية، وكثيراً ما كنا نموّل

النشاط من جيوبنا الخاصة، وكان للأخ صالح الزيادنة حصة وافرة في نجاح الرابطة ومشاريعها في زمنٍ غابت عنه روح التطوع والمبادرة، فكان يتحفنا بأجمل القصائد، ويُشرف على التدقيق اللغوي للكتب والمجلات التي كنا نزفها للقارئ النهم، ولم يتذمر يوماً، أعرف أني كنت أحياناً ألحّ عليه في انجاز عملٍ ما للرابطة، فكان إذا وعد أوفى، وإذا عمل أخلص، وأحياناً يقوم بعمله لساعاتٍ متواصلة دون كللٍ أو ملل همه إدخال البهجة لقلوب الناس وخاصة البسطاء، وحتى بعد حلّ رابطة أقلام الجنوب، بقينا على اتصال، فقد درّستُ في مدرسة الرازي بشقيها الإعدادي والثانوي، أيضاً في تلك المدرسة وجد الأستاذ صالح الزيادنة الدعم والمنبر، ومن جهته شارك في كل نشاطٍ ثقافي كنا نقصده، وبعد شقّ الشارع الجديد بين رهط وبئر السبع، صار الطريق الموصل للمدرسة أقرب والذي يمر من جانب بيته، فصرت أعرج إلى بيته أحياناً نتسامر في أمور الأدب والحياة من حلاوتها ومرارتها، وكان مثالاً للمضيف الأصيل يُراعي مشاعر الضيف فلا يثقل عليه بالأسئلة أو يزعجه فيما لا يطيق، وتقدم لنا الشاي أم جمال زوجته ورفيقة دربه، وأصول الضيافة العربية.

وبعد تعييني مديراً في مدرسة ابن سينا الابتدائية في كفر مندا، بارك لي وفرح، وكان من أصعب الأمور عليّ أن اترك الجنوب وأهله، وخاصة الأصدقاء الأوفياء مثل صالح الزيادنة، والنادي الرياضي في مدينة بئر السبع، ومدرسة الرازي بطلابها ومديرها الأستاذ علي القريناوي والذي أكنّ له كل الاحترام، فقد شجعني كثيراً ووفر لي الدعم المهني والمعنوي، وكل الزملاء من الجنوب والشمال فقد كنا أسرة واحدة حقيقية، وزملائي في مدرسة الرازي الإعدادية كانت تربطني بهم علاقة وطيدة، وبعد انتقالي للعيش والعمل في قريتي كفر مندا، الشوق والحنين يشدني إلى النقب وأهله، وكانت محطاتي كثيرة وكان من أركانها زيارة الصديق

الشاعر صالح الزيادنة والذي كان يُصرّ على إتحافنا بكرمه الحاتمي، إضافة لزيارة الأصدقاء الأستاذ يوسف الطوري والأستاذ سلمان القريناوي، وصالح الصديق لم تغيره السنين، يحب الوفاء والإخلاص للأصدقاء ويحب أسرته وأولاده، ورهط التي كتب لها أروع القصائد، وهي للأسف لم ترد له الجميل، فهو أول كاتب من الجنوب يصدر كتاباً بعد قيام الدولة، فكان كتابه «جمر ورماد» ١٩٩٢ قصائد، رغم أنه باكورة إعماله إلا أنه لم يأتِ فجّاً كعادة البواكير للشعراء، وأول من أخذ بيد الكتّاب الشباب في كتاب «قافلة على الطريق» ١٩٩٤، وأول من فكر في جمع التراث البدويّ لمنعه من الاضمحلال والتزييف، في كتابه «من الأمثال البدوية» ١٩٩٧، وكتاب «حكايات من الصحراء»، وكتاب «عبارات ومصطلحات من البادية»، وكتاب «المأكولات الشعبية في النقب»، وكتاب «المرأة العربية في النقب»، وكتاب «الغناء والموسيقى عند البدو» وهذا جهد مبارك موسوعة بشرية متنقلة في مجال التراث البدوي، فقد عرّف الناس على العادات الأصيلة والهوية الحقيقة لعرب النقب ووضعهم على الخارطة الأدبية والثقافية، وحفظ التراث من العبث والضياع، وقد سار على خطاه الأستاذ والكاتب موسى الحجوج في حفظ التراث في سلسلة من الكتب التراثية الموفقة، ولم يكن هم شاعرنا جني الأموال من جهده أو الشهرة بل نشر المعرفة والأدب وقضايا الجنوب الاجتماعية، طبع جميع كتبه على نفقته ووزع معظمها مجاناً على الأصدقاء والمعارف وطلاب المدارس وربما بعضها لا زال مكدساً، بينما المؤسسات المحلية والجمعيات تُعرض عن دعم الكلمة والإبداع، إضافة إلى مساهمة كاتبنا في إثراء وإنجاح عدة صحف ومجلات صدرت في الجنوب بفضل مقالاته التراثية والأدبية والتي كان القراء يترقبونها من أسبوع إلى أسبوع، ولم يقبل أن يتقاضى الأجر مقابل جهده فكانت كتابته أهم ما تحتويه الصحف المحلية، في عالم النت اكتشف العجلة على عجل وأدرك كيف يُطوّع

الشبكة العنكوبوتية لصالحه ولصالح أصحابه من كُتّاب في العالم العربي ومحليين، فكان لي نصيب مما أصاب صاحبنا في هذا الباب، فقد بنى لي موقعاً أدبياً ضم معظم كتبي ومواقع أخرى ومحرك بحث بناه عام ١٩٩٧، أي عندما كانت المواقع شحيحة وطريقة بناء المواقع شائكة ومعقدة وقلة ممن تمكنوا من سبر هذا العلم الجديد، وطبعاً بنى له اثنين من المواقع الناجحة على المستوى العالمي وكثيراً ما تعتبر مرجعاً هاماً للصور والمعلومات النادرة والكتب والقصائد.

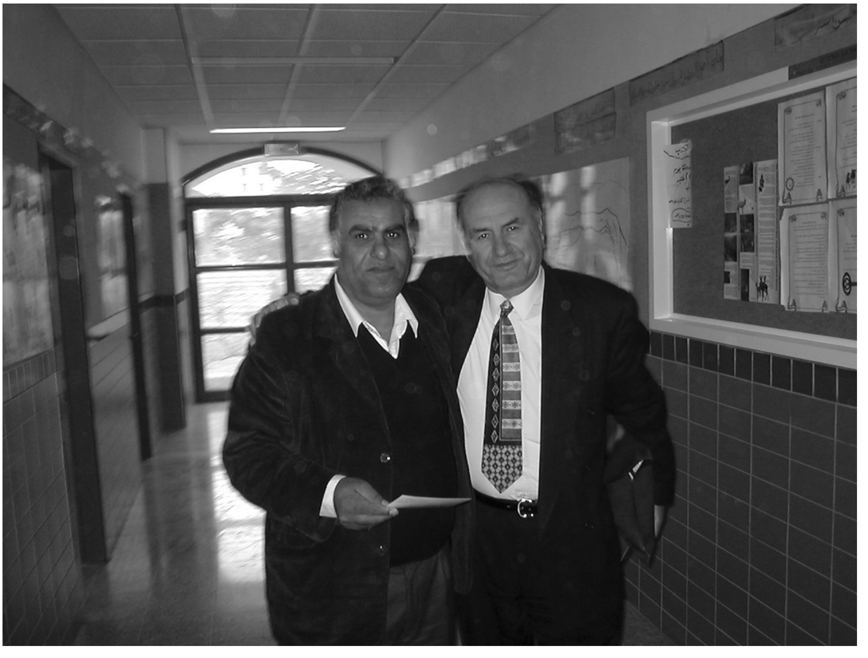
وقد فاز الشاعر صالح الزيادنة بجائزة الإبداع من وزارة المعارف والثقافة وهو أول من حصل عليها من أبناء الجنوب، وقد طرق أيضاً باب السياسة ورشح نفسه من عائلة الزيادنة في تحالف عائلي واسع ونجح ومثّل قائمته في بلدية رهط كعضو، وكان مبدئياً لكنه اكتشف أن هذا المجال ليس له فهو لا يعرف المراوغة والتمثيل والانتهازية والضحك على ذقن المواطن المسكين، فسارع إلى الاستقالة وندم على إقدامه على هذا الحقل الحافل بالمخاطر ومخيب للآمال، وساهم في إثراء المكتبة العامة في رهط، في السنوات الأخيرة يحرص على التواصل مع الشمال فيزورني لأن في قلبه حباً لكل أرجاء الوطن وإخلاصاً للأيام الخوالي، ولا يتوانى عن السفر إلى الشمال إلى الناصرة وطمرة وكفر مندا للمشاركة في نشاطٍ أدبي أو من أجل إلقاء قصيدة قصيرة، صالح الذي أعرفه ويعرفني، أكبر من أن يعرف في مقالة سريعة.

هو صالح الإنسان الرقيق والخجول والصادق والملتزم بتعاليم ديننا الحنيف، صالح الشاعر والكاتب والباحث، صالح الخبير في علم الحاسوب والانترنت، صالح صاحب القلب الوارف الظلال والزوج المخلص، الإنسان المحب لأهله ومنطقته والبداوة الأصيلة، وهذا الإنسان العصامي الذي تعلم وكسب المعرفة بمفرده وشقَّ طريقه في صحراء قاحلة زرع بها الورود، ولو أتيحت له الظروف في حينه لطرق المؤسسات الأكاديمية العليا وحقق أرفع المناصب والألقاب الجامعية، فكتبه اليوم

من أهم المراجع التراثية.

حريٌ بنا نحن وأهل الجنوب عامة أن نقدر هذا الإنسان المميز والجوهرة النادرة في هذا الزمن الأصفر من خلال تكريمه وتشجيعه وإصدار كتبه ونشرها وخاصة أن لديه عدة مخطوطات هامة، فهو فارس حقيقي من الصحراء.

* * *



مع الشاعر د. فاروق مواسي في الندوة الشعرية في بلدة حورة بتاريخ ٢٠٠٢/٠٢/١٢م.



في مهرجان الشعر الفلسطيني في مدينة طمرة بتاريخ ٢٠٠١/٠٩/١٤م؟

صالح الزيادنة يشدو ويصنع المجد

بقلم: موسى الحجوج

كانت بداية معرفتي بشاعرنا المحبوب وأستاذي الأوّل الذي دلّني على طريق الهدى والصواب في الوصول إلى الكتابة في سنوات التسعين من القرن الماضي، وجدتُ فيه إنساناً حنوناً عطوفاً مُحباً وفياً أميناً ومتديناً، مما أذكره من جلساته الكثيرة الطويلة التي جالستها مع رفيق الحرف «أبو جمال» أنه كان حزيناً، ويبدو أن الحزن عصيٌّ على تركه، بيد أنه رغم الحزن الشديد الذي يواكبه يحوّل هذا الحزن وهذا الألم إلى كلماتٍ لتتحوّلَ فيما بعد إلى كتاباتٍ وإبداعاتٍ يُبدع فيها بشكلٍ يجعلُ سامعَ أشعارِه وقريضه يسرح بعيداً بعيداً، وكأنه أي شاعرنا صالح زيادنة يكتب بلسان حال الجميع من صغيرٍ وكبير.

كم شعرتُ بالغبطة الكبيرة وأنا أشاهد ذلك العمل الجبار الذي قام به في تخليد وتوثيق تراثنا الشعبيّ بكلّ أطيافه، فهو ليس كالجميع عندما يسمع كلمة أو مَثَل أو أغنية أو أيّ شيءٍ يتعلّق بالتراث أو الأدب، فسرعان ما تأسرها ذاكرته ليعود فيما بعد ليدوّنها في دفاتره الغنية بكلّ ما هو طيّب وجميل من تراثنا الغالي، لا أبالغ أنني بدأت خطواتي الصغيرة ولم أعرف من أين أبدأ، فكان رفيقي كالأم أو الأب الذي يُرشد صغيره على السير، وكانت تلك الخطوات الأولى التي علّمني إياها أبو جمال وغرس حُبَّ الكتابةِ وإحياء تراثنا وتوثيقه وتدوينه هي التي أوصلتني اليوم إلى ما أنا فيه، وبكل تواضع خمسة أعمال تراثية والعطاء قادم إن شاء الله.

لشاعرنا «أبو جمال» ابتسامة طيبة هي من مخيلتي في تصوره وهو إن لاقاك أو صدفك تشعر حينها أنك وجدت إنساناً فعلاً في قمة الآداب والأخلاق والذوق الرفيع، رغم حزنه الذي يخفيه داخله كبقية الشعراء إلا أنه لا يبوح لك بذلك

لكنني بمعرفتي الكبيرة فيه أعرف أن وراء هذه الأبيات التي يسطرها لنا تقف عظمة هذا الإنسان.

أعجبني كلّ ما كتب، وقرأت له مثلي كمثل الآلاف والملايين من الناطقين بلغة الضاد، ووجدتُ أنّ هذه الأعمال ستبقى نوراً يرشدنا إلى عالم الفكر والإبداع وليجعلنا نحن أهل الجنوب نسير مع موكب السائرين ولا نقف بلا حراك.

وسأورد هنا هذه القصيدة التي هي في اعتقادي تعبّر ولو بالشيء البسيط عنه:

المهنةُ شاعر ...
يهيمُ في أوديةِ الشِّعْر
مسحوراً يَسْأَلُ :
أينَ تَسِير الدَّرْبُ ؟
وكيفَ يدورُ الدهر ؟
لو تعرَفُ ليلى المسكينةُ
ما معنى الشِّعْر ؟
لو تعرفُ ليلى ...
كيفَ يفورُ الدمُ ويغلي القَهْر
لو تعرفُ ليلى ...
كيفَ أعيشُ الحُزنَ ، وألوكُ الصبر
لو تعرفُ ليلى ...
أثقالَ الكونِ على صدري
لم تَسْأَلْ :
ما معنى الشعر ؟

* * *

المهنةُ شاعر ...
يتغَنـَّى في قصصِ العِشْق
في القمرِ الحالمِ
في ثغرِ الشَّمسِ
وفي شَهْقَاتِ البرق
في حُبٍّ عُذريٍّ شفّافٍ
كاللهفةِ في العينينِ الزُرْق
في نهرِ دُموعٍ مُنْسَابٍ
ينبُعُ من عينِ الشَّرق
لا أعرفُ حُزناً في الدنيا
أكبرُ من حُزْنِ الشَّرق

* * *

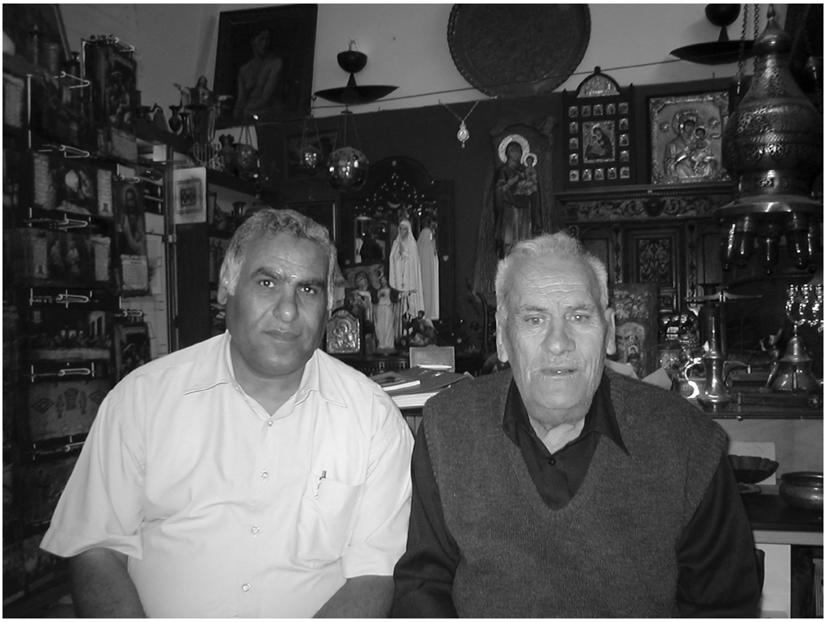
المهنةُ شَاعِر ...
يا ويلي ... مَنْ يمتهنُ الشِّعْر ! !
الحرفُ النازفُ يتأَوَّهُ
والكلمةُ تأبى النَّشْر
والورقُ الأبيضُ يتلَوَّى
كالحُزْنِ الرابضِ فوقَ الصدر
وأنا أبحثُ مهموماً
عن اسْمِي في سِفْرِ الدهر
لا أعرفُ حقّاً
إنْ كُنْتُ أَعِيشُ بهذا العصر

لا أدري حقّاً

إنْ كنتُ أعيشُ بهذا العصر

أخي «أبو جمال» سدّد الله خطاك ونحن في أحر الشوق إلى إبداع آخر وفّقك الله ورعاك.

* * *



مع الشاعر المرحوم طه محمد علي في متجره في مدينة الناصرة في العام ٢٠٠٤.

مقابلات صحفية

الشاعر الفلسطيني صالح زيادنة
لـ(عُمان الثقافي)

مقابلة صحفية أجراها الصحفي مؤيد أبو صبيح

الشاعر الفلسطيني صالح زيادنة لـ(عُمان الثقافي):

الشعراء الفلسطينيون في الداخل مرآة صادقة لشعب مظلوم.

يحفل المشهد الشعري الفلسطيني لدى عرب ١٩٤٨، بالعديد من الأسماء التي أثبتت حضوراً متميزاً في هذا المشهد، ومن بين هذه الأسماء الشاعر صالح زيادنة الذي أصدر المجموعات الشعرية التالية: «جمر ورماد»، و«قافلة على الطريق»، و«نحو الشمس»، و«أنغام حائرة»، وله أيضاً من المؤلفات «من الأمثال البدوية» وكتاب «حكايات من الصحراء».

عمان الثقافي التقاه وكان هذا الحوار:

*** كيف تصف لنا المشهد والحراك الثقافي عند مثقفي ومبدعي عرب فلسطين ١٩٤٨ ؟**

المشهد الثقافي عند مثقفي ومبدعي عرب فلسطيني ١٩٤٨ هو مشهدٌ نَشِطٌ ومتميز، وهناك العديد من الشعراء والكتاب على طول امتداد الوطن، وربما كان النقب أقلهم نصيباً بالرغم من الصحوة الفكرية التي ما زالت في بدايتها.

وهؤلاء الشعراء هم مرآة صادقة لأحاسيس شعبهم وما يلاقيه من ظلم وعَنَتٍ في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها، ولا تمرّ حادثة دون أن تهب لها الأقلام الصادقة لتؤرخها في سجل شعبنا الصامد.

وتجدر الإشارة إلى أن مئات الكتب في المجالات الفكرية المختلفة تصدر عن كتابنا ومفكرينا في كلّ عام، وهذا يدلّ على الحركة الفكرية النشطة كما ذكرت. ولم يظلّ شعرنا وأدبنا المحلي حبيس قمقم المحلية، بل وصلت أصداؤه إلى سائر أجزاء الوطن العربي، إن كان ذلك عن طريق النشر في الدول العربية الشقيقة، أو عن طريق المشاركة في المهرجانات الشعرية المختلفة، أو عن طريق النشر الالكتروني عبر الشبكة العنكبوتية التي قرّبت المسافات وفتحت مجالات التعارف، وجعلت الوصول إلى العالم عملية سهلة وميسورة.

*** كُتب عن مجموعاتك الشعرية العديد من الدراسات النقدية هل كان هناك تميز على صعيد الشعر أم ماذا؟**

أنا واحد من قافلة الشعراء والمبدعين في هذا الوطن، ولا أعتقد بأنني أختلف عن الآخرين، ولكنني رسمت طريقاً لنفسي وهي أن ألتزم كتابة الشعر الذي يحمل معنى الشعر في طياته، لم أجْرِ وراء شعر النقاط والفواصل وشعر الشهرة السريعة، ولكنني كتبتُ شعراً انتزعته من صميم أعماقي، فجاء – على قلته – صادقاً معبراً يحمل هفهفات نفس معذبة تتوق لرؤية شعبنا المضطهد وقد عادت إليه البسمة ورفرفت عليه أجنحة السعادة.

*** في ظل الخراب الذي يعم العالم هل ما زالت القصيدة تحقق الحضور المطلوب لها ؟**

لا شك أن الأحداث التي نراها ونبصرها في هذه السنين العجاف تترك بصماتها على نفسية الشاعر وتدكّ قلاع شعوره، فتأتي القصيدة ملأى بالدموع في بعض الأحيان، أو تأتي ثائرة مزمجرة في أحيان أخرى، أو تأتي داعية لإصلاح وهي في كلّ الحالات تحقق الحضور المطلوب منها وتؤكد بأن الشعراء لا يلتزمون الصمت

ولا يقفون موقف المتفرج إزاء ما يدور حولهم من أحداث.

*** ماذا عن الطقس الكتابي لك وخاصة وأنت معروف بأنك شاعر وقاص ولك العديد من المجموعات الشعرية والقصصية؟**

أنا ممن يسكنون الحرف ويتفيأون بالكلمة، ولا يأتي يوم دون أن يكون لي لقاء مع الكتاب، ودون أن يكون لي إبحار مع شاعر أو كاتب، ولذلك أنام والكتاب يبسط يديه بجانب رأسي، والقلم يسترخي بقربي، وإذا ما جاءتني فكرة أتناول القلم حتى وأنا مغمض العينين وأكتبها على أي ورقة تكون بجانبي حتى لا تفر مني إذا ما جاءت جحافل الصباح، أكتب في كلّ يوم، والكتابة جزء من حياتي، وأنشر المقالات في الصحف المحلية وفي المواقع العربية على الشبكة العنكبوتية، ولذلك فنشاطي الكتابي مستمر ومتنوع وأنا أنشر الكثير، ولدي عدة مؤلفات في انتظار الطبع.

*** أنت ممن احترفوا النشر الالكتروني للإبداع من خلال المواقع الالكترونية هل لك أن تحدثنا عن هذه التجربة؟**

بدأت النشر الالكتروني منذ عام ١٩٩٦ وفي الفترة التي لم تكن مُستعرضات الانترنت تدعم اللغة العربية، وكنت أحوّل النص من صيغة نص إلى شكل صورة حتى يمكن للناس أن يقرأوه، ثم تطور الحال وبدأتُ أنشر بصيغة النص العربي، وهي صيغة تمكن الزائر من رؤية الصفحة بسرعة كبيرة دون الانتظار الطويل كما هو الحال مع التعامل مع الصور، وبنيت موقعاً متواضعاً في حينه تعرفت من خلاله على العديد من الشعراء العرب، وكانت لي مساجلات شعرية مع العديد منهم، وقد نشرت بعض هذه المساجلات في مجموعتي الشعرية التي تحمل اسم «أنغام حائرة» تحت عنوان «إخوانيات». وما زلت أنشر نتاجي الأدبي ضمن موقعي الخاص،

وكذلك في بعض المواقع العربية التي تحتضن الأعمال الأدبية للشعراء العرب.

*** ماذا عن قراءاتك الآن؟**

قراءاتي الآن تتمحور حول موضوع اللغة العربية وتاريخ نشوئها ومدى امتداد جذورها في التاريخ، وكنت قد بدأت البحث عن جذور هذه اللغة منذ أكثر من ربع قرن، ولديّ العديد من الأبحاث التي آمل أن ترى النور في فترة قريبة بعون الله تعالى.

إضافة إلى المواضيع التراثية التي أبحثها في كلّ يوم، وأنشر مقالاً طويلاً في صحيفة «أخبار النقب» وهي صحيفة محلية ولها موقع على الانترنت حول التراث العربي الفلسطيني في منطقة النقب، تلك المنطقة التي كانت معزولة عن مراكز الثقافة ولم تحظَ بدورها من التدوين في هذا المجال.

*** ماذا عن جديدك الإبداعي؟**

الجديد لديّ إن صح أن أسميه جديداً هو صدور كتابي «حكايات من الصحراء» والذي صدر في آذار الماضي، وكُتبت عنه الكثير من المقالات داخل الوطن وخارجه، ونشرت معظم محتوياته في الصحف المحلية المختلفة.

وأعكف الآن على كتاب تراثي عن المأكولات الشعبية، ومجموعة شعرية جديدة، وكتاب آخر عن المرأة العربية في النقب، وقد فرغت من بعضها وهي في طريقها إلى النشر إن شاء الله تعالى.

* * *

– نشر في صحيفة عُمان الصادرة في الأردن (العدد ٨٢٨٦ بتاريخ ٨ شباط ٢٠٠٤ ، الموافق ١٧ من ذي الحجة ١٤٢٤ هـ .

حول كتاب «المأكولات الشعبية في النقب» لصالح زيادنة

مقابلة أجراها حسن شعلان ونشرت في صحيفة بانوراما

١ – بطاقة شخصية ؟

اسمي صالح زيادنة، من مواليد ١٩٥٥/١٠/١٦م، تزوجت في العشرين من عمري ولي أبناء وبنات وأحفاد. تعلمتُ في المدرسة الابتدائية، ثم في الرملة حيث رحلَ والدي لهناك فتعلمت سنتين، ثم عاد فعدت للمدرسة من جديد، وبعد ذلك أكملت بالتحصيل الخارجي بعد أن توفي أخي الأكبر، فخرجت لأعمل مع أبي وأعينه على ظروف الحالية القاسية في ذلك الوقت، ثم صببتُ جهدي على كتب اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض وتاريخ الأدب العربي وكل ما له صلة باللغة وعلومها، حتى أصبح ذلك ديدني وصرت لا أنام إلا على كتاب، وما زلت كذلك فالكتاب رفيقي والقلم صديقي ولا يمرّ يوم إلا ولي معهم لقاء متجدد، وهكذا أصبحت حياتي كتب وأوراق ودفاتر ورؤى وأحلام وأفكار لا تنتهي.

٢ – هل لك أن تحدثنا عن فحوى الكتاب ؟

الكتاب هو كتاب توثيق للمأكولات الشعبية التي استعملها الناس في منطقة النقب، وهو يكاد لا يترك صغيرة أو كبيرة تتعلق بالمأكولات إلا وذكرها، وقد تناول في البداية المأكولات الشعبية وعرَّف بها وبمصادرها، ثم المطبخ ومحتوياته ومكانه في بيت البدويّ وخيمته، وأيضاً طرق إضرام النار بالطرق البدائية القديمة وأدوات إشعالها وكلّ ما يتعلق بها، والخبز وأنواعه وكيفية إعداده، والمأكولات التي يتمّ إعدادها من الحبوب، وكذلك التي تُعدّ من منتوجات الألبان، والتي تُعدّ

من النباتات، وطعام الولائم والمناسبات، وتناول أيضاً المشروبات الشعبية وأهمها القهوة العربية المرة، وكل أدواتها وعادات تقديمها وشربها. والكتاب يقع في ٢٠٨ صفحات من الحجم الكبير.

٣ – هل تأليف الكتاب عن الماكولات بحاجة إلى مهارات خاصة مثل تذوق الطعام، أو أن التأليف يمكن أن يكون بشكل تلقائي ؟

لا بد من معرفة المأكولات ومعرفة طعمها وأنواعها وإلا كيف نكتب عن شيء لا نعرفه، فحينها تكون المعلومات ناقصة وغير دقيقة، ومعرفة أنواع الطعام تُعطي الكاتب أو الباحث مجالاً للتعبير الصادق عنها بشكلٍ دقيق، إضافة إلى أن الكاتب يجب أن تكون لديه أدوات التعبير اللازمة من خلال نصّ سلسٍ متناسق، وتعبير سهل يقرّب المعنى إلى القارئ دون جهدٍ وعناء، إضافة إلى معرفة باللغة وأدواتها تضمن للكتاب بقاء بين بقية الكتب والمؤلفات.

٤ – هل استعنت بأحد من أجل إتمام الكتاب ؟

هذا هو الكتاب السابع لي، إضافة إلى مئات المقالات التي نشرتها في الصحف المحلية وعلى شبكة الانترنت، ولذلك فإن موضوع الكتابة ليس جديداً عليّ، ولديّ خبرة سنوات طويلة في هذا المجال فلم أستعن بأحد من أجل إتمام الكتاب، ولكن كانت هناك بعض الطبخات التي لم نستعملها نحن بل استعملتها بعض القبائل والعائلات، فسألت عنها حتى عرفتها بشكل جيد ومنها: البازينة؛ وهي نوع من الرقاقة أو الرشتة، وطبيخ البطيخ العجر وهو ثمر البطيخ الصغير الفج، وسألت أيضاً أكثر من مصدر عن سنة عَمَّ فيها الفقر في المنطقة فأكل الناس ذرة متعفنة لم يجدوا غيرها في ذلك الوقت، وكانت هذه السنة تسمى سنة حمرا طَلَق. فكنت انتهز الفرصة في المناسبات إن كان ذلك في عرس أو في عزاء وببيت أجر وأسأل الشيوخ

وأجعلهم يتناقشون حول الموضوع الذي أثيره ثم أعود لأدون هذا النقاش حتى تكون المعلومات التي أكتبها صادقة وموثوقة لا لبسَ فيها ولا زيف.

٥ – كيف هي علاقتك بالمطبخ، وهل تدخل للمطبخ من أجل الأكل فقط، أم أنك تشارك في إعداد الطعام ؟

علاقتي بالمطبخ علاقة عابر سبيل، ولا أزوره إلا لماما، ولا أدخله من أجل الأكل بل يأتيني الطعام في مكتبي حيث يوجد حاسوبي وبعض كتبي وأوراقي، أو في الصالون إذا كان لديّ ضيوف. وأنا لا أشارك في إعداد الطعام ولا حتى في إعداد الشاي فهذه المهمة تقوم بها زوجتي، وهي لا ترضى أن أشاركها في عملها لأن ذلك اختصاصها هي، وهي أعرف مني في إعداد الطعام، وطعامها له نكهة خاصة حتى أني أميزه من أي طعامٍ آخر، ولذلك تعودّت أن لا أدخل المطبخ إلا قليلاً.

٦ – ما هي أطيب الأكلات التي تميز المطبخ البدوي في النقب ؟

المطبخ البدوي له طعمه ونكهته الخاصة، وأعتقد أن الأكلة المميزة في النقب هي منسف الخروف، وهذا المنسف يُقدّم للضيوف وفي المناسبات المختلفة، وكلّ قطعة توضع على المنسف لها اسم خاص بها، ويجب أن تُقدّم القطع الكبيرة والتي تُسمّى «الجوازل»، ويمنع تقديم الذراع والرقبة ومن يفعل ذلك يُعدّ غشيماً وقليل خبرة وربما ليس من عادته تقديم القِرَى للضيف، وقد أفردت فصلاً كاملاً من الكتاب بعنوان طعام الولائم والمناسبات شرحت فيه شرحاً وافياً عن هذه الأشياء وبينت أسماء القطع وما يجب تقديمه منها للضيوف وما يجب تركه لأهل البيت والأولاد.

٧ – هل تختلف طريقة طبخ الطعام في النقب عن طريقة طهوه بشكل عام في

الوسط العربي، أي أنه هل المعدات والآليات في النقب تختلف عن الناصرة أو أي بلدة عريبة أياً كانت ؟

هناك اختلاف بطبيعة الحال، فكل منطقة لها ما يميز طعامها عن بقية البلدان الأخرى، فمأكولات الناصرة هي مأكولات عليها صبغة ونكهة المدينة، بينما مأكولات النقب لها لونها الخاص، وهي أقرب إلى طعام القرى منها إلى طعام الحواضر والمدن، وهناك خبز الصاج وأدوات إعداد وطهو هذا الخبز والتي هي جزء من أدوات المطبخ في النقب ونادراً ما توجد في القرى أو المدن.

٨ – هل تكتب في مجالات أخرى، وكيف قررت أن تكتب هذا الكتاب ؟

أنا أكتب في مجالات مختلفة ففي مجال الشعر صدرت لي مجموعتان شعريتان هما: جمر ورماد وقد صدر عام ١٩٩٢ وأنغام حائرة وصدر في عام ٢٠٠١، ولدي قصائد كثيرة سأجمعها في ديوان آخر إن شاء الله، ثم توجهت للمجال التراثي ووضعت أربعة كتب ولديّ عدة كتب أخرى تنتظر الصدور، أما كيف قررت كتابة هذا الكتاب فقد كنت أكتب مقالة أو بحثاً تراثياً أنشره في صحيفة أخبار النقب فكانت المقالات في البداية عن المرأة ودورها في المجتمع الصحراوي، وعن لبسها وزينتها وطرق الخطوبة والزواج، وعن هوايات المرأة ومعتقداتها، ثم توجهت للمأكولات الشعبية وبدأت أنشر فصولاً متتالية منها ثم جمعتها وبوبتها ووضعت شروحات وحواشي لها ونشرتها في هذا لكتاب وهذا كل ما في الأمر.

٩ – لا بد أن يكون لكل إنسان باحث أو كاتب تأثير على المجال الذي يسير به، ما هي أكثر الأمور التي اكتسبتها خلال كتابتك لكتاب المأكولات الشعبية ؟

تأثيرنا في مجال التراث هو تأثير متواضع ولكنه ترك بصماته على المنطقة، فما زالت كتبي هي المرجع الذي يعتمد عليه طلابنا في المعاهد العليا والجامعات، وهي

مصدر موثوق لعاداتنا وتراثنا وتقاليدنا العربية الأصيلة، وفيها معلومات جمة قد لا توجد في غيرها من الكتب، لأنني أول من كرّس جهده ووقته لتوثيق التراث في منطقة النقب بشكل جديّ وموضوعي رغم الصعوبات التي يلاقيها كلّ كاتب يطرق مجال الكتابة من عدم وجود موارد لطباعة الكتب وقلة التشجيع وغير ذلك، ولكن ذلك لم يفتّ في عضدي وما زلت مستمراً في عملي مستعيناً بالله وحده، أما الأمور التي اكتسبتها خلال كتابتي لكتاب المأكولات الشعبية فهي كثيرة فكلّ شيء جديد كنت أضيفه إليه أشعر بأنني وجدت شيئاً ثميناً، وكلّ جملة تُعبّر عن المعنى بشكل دقيق كنت أفرح لها وغير ذلك كثير.

١٠ – لو قلنا لك بأن تحضر أكلة معينة هل تنجح في هذا الأمر وما هي الطبخة المفضلة لديك ؟

مشكلتي أنني مدلل أكثر مما يجب مع بساطتي وتواضعي الشديد، فزوجتي لم تترك لي فرصة لأعد أي شيء من الطعام، لأن هوايتها إعداد أصناف الطعام والمأكولات المختلفة، ولكنني عندما كنت صغيراً كنت أنافس أمي في صنع السَّلَطة، وربما اليوم لو أردت أن أعمل سلطةً لعملتها بشكلٍ جيد، أما غير ذلك فلا جَلَد لي عليه، أما الطبخة المفضلة لدي فقد كنتُ أحبّ في البداية المجدّرة ثم المقلوبة والمفتول والرقاقة في بعض الأحيان، أما اليوم فصحن خفيف من سلطة الخضار وصحن حمص مع فول وأشياء خفيفة أخرى وليس أكثر من ذلك.

١١ – هل تنصح تناول الوجبات في المطاعم وأيهما أفضل بشكل عام في البيت أو المطعم ؟

أنا أتناول الطعام في البيت ونادراً ما أتناوله في المطاعم، ولا أعتقد بأن المطاعم تقدم طعاماً أفضل أو أشهى من الطعام الذي نعده في بيتنا، والوضع الاقتصادي لا

يسمح بالتبذير فالأكل في المطاعم يكلف أضعافاً مضاعفة من تكلفة الطعام في البيت، ولكن يحدث أحياناً أن آخذ عائلتي لزيارة المسجد الأقصى فنأكل في أحد المطاعم هناك، أو إذا كنا في جولة أو رحلة فنأكل في المطعم بطبيعة الحال.

١٢ - ماذا تقصد من المأكولات الشعبية في النقب؟

أقصد المأكولات الأكثر انتشاراً، والمأكولات البسيطة التي استعملها أهلنا في النقب وعاشوا عليها، وكيف انتهجوا طريق القناعة وصبروا على الجوع وطبخوا الماء والزيت ليبِلُّوا خبز الشعير الجافّ حتى تستسيغه نفوسهم، وكيف أدّت ظروفهم المعيشية الصعبة إلى تأصيل عادة الكرم والجود فيهم وقِرَى الضيف، وكلّ ما يتعلق بالكرم من صفات، إضافة إلى الاحترام المتبادل وتقديم يد العون والمساعدة.

١٣ - هل لا زالت هذه المأكولات الشعبية تحافظ على نفسها أم أنه أصبح لها منافسين من مأكولات عصر السرعة ؟

ما زالت أكثر المأكولات الشعبية التي ذكرتها في الكتاب محافظةً على وجودها، رغم أن بعض المأكولات الخفيفة التي كانت تستعمل لتخفيف الجوع وسدّ الرمق قد اختفت أو كادت، ومنها المَبَصَّلَة وطبخة تسمّى «ريق البنت»، وأخرى تسمّى «حَرْق إصبع»، أما بالنسبة لمأكولات عصر السرعة كالشطائر وغيرها فهي موجودة بحكم وجودنا في هذا العصر ولكنها لا تستطيع منافسة المأكولات الأصيلة كالمنسف وطعام الضيوف والمناسبات وغيرها.

١٤ - هل أثَّرَت الصحراء على نوعية المأكولات في النقب؟

لا شك أن للصحراء تأثيرها على نوعية المأكولات وأصنافها ولعل ذلك يبرز في

انتشار المأكولات التي تُعدّ من منتوجات الألبان كفتة اللبن مع السمن البلدي، ومريسة العفيق وهو اللبن المجفف، ودخول اللبن في الكثير من المأكولات الأخرى كإضافة اللبن للحم حيث يعطيه طعماً خاصاً ورائحة زكية ويخفف من رائحة الزَّفَر بشكل كبير. ودخول اللبن مع مديدة القمح وهو القمح المجروش وغير ذلك كثير كإضافة المريسة للسَّلَطة، وسلطة الباذنجان المشوي والكوسا وغيرها، فنرى دخول اللبن هنا في كثير من الأطعمة من الصفات المميزة للمأكولات الشعبية في النقب دون غيرها من المناطق.

١٥ – هل هناك ما تمتاز به المأكولات في النقب عن غيرها من المأكولات في الوسط العربي؟

بالرغم أن الإجابة على هذا السؤال قد تكون موجودة في جوابنا على الأسئلة السابقة إلا أن المأكولات الشعبية في النقب لها ما يميزها عن غيرها ومنها البساطة وقلة التنويع، فكان البدوي يكتفي بمنتوجات الألبان وبعض البقوليات كالعدس أو القمح المجروش، وإذا لم تتوفر هذه الأشياء كان يكتفي بالخبز لوحده ويأكله ساخناً أو يعمل قرصاً ينضجه على الجمر أو في رمضاء الموقد ويأكله ويقنع به لا يشكو ولا يتذمر.

١٦ – هل هنالك أكلة معينة تحظى بشعبية واسعة في النقب ؟

كانت فتة العدس أكثر شعبية من المأكولات الأخرى تليها مديدة القمح وفتة اللبن، وفي المناسبات منسف اللحم مع الثريد أو الفتة كما نسميها نحن، أما الأرز فكان قليل الانتشار وكانوا يستعملونه في يوم عيد الفطر ويقدمونه مسلوقاً ويضيفون إليه حفنة من السكر وكانت لهم مقولة شعبية يقولون فيها: «لولاك يا عيد ما ذقناك يا رز»، ثم انقلبت الآية وانتشرت المجدرة والمقلوبة وغيرها من الأصناف

التي يدخل فيها الأرز.

وهناك طبخات تشتهر في مواسمها كطبخة الخبيزة التي تعد من نبتة الخبيزة المعروفة والتي تسمى في قرى القدس بُقَّيلة، والنساء لا يتركن هذه النبتة وحالها فيقطفن أوراقها ويطبخنها في أكثر أيام الأسبوع، ومن أقوال النساء حول الخبيزة:

خبيزةٍ واللبن يكثُر وأُفْشُر يا الغَلاَ وأُفْشُر

أي أنهم لا يهتمون من الغلاء في موسم اللبن والخبيزة حيث تكفيهم هذه الأشياء عن المواد الغالية الموجودة في السوق.

وهناك قول آخر عن الخبيزة:

خبيزةٍ بعروقها حَلَف الشايب ما يذوقها
وإن ذُقتها ما ذَاقها وإن ذَاقها ما أذوقها

١٧ – كم من الوقت استغرق تأليف الكتاب ؟

بدأت في كتابة فصول من هذا الكتاب في عام ٢٠٠٤، ونشرتها في صحيفة أخبار النقب وهي صحيفة محلية تصدر في النقب، وكنت أرتب هذه المقالات كما هي مرتبة اليوم في الكتاب فهناك المأكولات التي تعد من الحبوب كالقمح وغيره والتي تعد من الأعشاب كالخبيزة، والتي تعد من منتوجات الألبان، وبعد أن كتبت مادة الكتاب أخذت أضيف جملة هنا وجملة وهناك وانتظرت طويلاً من أجل إصدار الكتاب لأنه ليست هناك جهة تموّل مثل إصدار هذه الكتب، وعندما أعيتني الحيلة قررت إصداره بنفسي وأعانني بذلك بعض الزملاء جزاهم الله خيراً.

١٨ – ما هي الرسالة التي حاولت توصيلها للقراء ؟

الرسالة التي أردت توصيلها للقراء هي كيفية اقتناع الأهل بالقليل، وتأقلمهم مع ظروف الصحراء القاسية، وعدم تخليهم عن عادات الجود والكرم المتأصلة فيهم،

ومحافظتهم على عاداتهم وتقاليدهم وتراثهم الغالي الثمين، وتمسكهم بدينهم وأرضهم وقيمهم رغم كلّ الظروف، إضافة إلى تقديم معلومات قيمة عن مأكولاتنا الشعبية التي يجهل أبناؤنا الكثير عنها، حتى يكون هذا الكتاب مرجعاً موثوقاً وأميناً يعودون إليه عند الحاجة في دراساتهم وأبحاثهم المختلفة.

١٩ – ما هو الدور الذي تلعبه المرأة في النقب للحفاظ على هذه المأكولات ؟

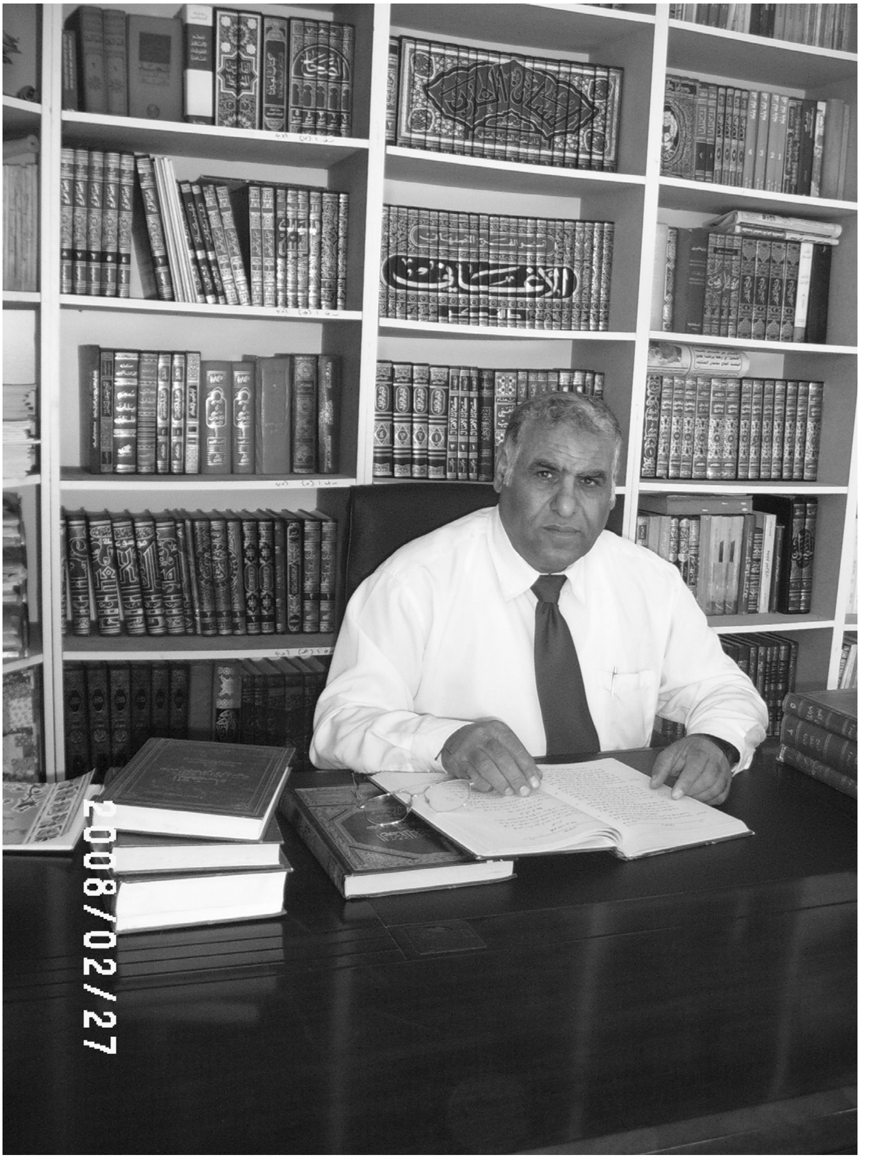
المرأة لها الدور الأكبر في الحفاظ على المأكولات فهي التي تعد الطعام وهي التي تصنع السمن وتجفف اللبن وهي التي تجرش على الرحى وتطهو الخبز والطعام، أما الرجل فكان دوره العمل وجلب المال والرزق إما عن طريق اقتناء المواشي، أو في فلاحة الأرض وزراعتها، ولذلك كان للمرأة الدور الأكبر في هذا المجال، ونحن نُجلّها ونقدرها ونثمّن دورها ولا ننسى فضلها وصبرها وتحملها من أجل توفير لقمة العيش الكريمة لأسرتها وأبنائها.

٢٠– هل كل امرأة بإمكانها أن تبرع بصناعة المأكولات الشعبية التي تحدثت عنها ؟

المأكولات التي ذكرتها هي مأكولات شعبية يكاد يعرفها الجميع وهي ما زالت تستعمل في الحياة اليومية ولذلك يمكن أن تجيدها كل امرأة ولا تجد صعوبة في إعدادها.

* * *

نشرت في ملحق بانوراما بتاريخ ١٨/ ٠٤/ ٢٠٠٨م.



الشاعر في مكتبته الخاصة بتاريخ ٢٧/٠٢/٢٠٠٨م.

مكتبة الأستاذ صالح زيادنة

من كتب الزير سالم أبو ليلى المهلهل

وحتى تنزيل الكتب الإلكترونية من الانترنت!!

تقرير: أحمد محمد خليل

نُطلّ في هذا التقرير الخاص على مكتبةٍ بيتيّةٍ خاصة، نتطرّق من خلالها لقضية القراءة واكتساب الثقافة والمعرفة في المداومة على التعامل مع خيرِ جليسٍ ألا وهو الكتاب.

وقد أصبحت القراءة لدى البعض في مجتمعنا عادةً لا ينفكّون عن ممارستها، ومن بين هؤلاء صالح إسماعيل الزيادنة الشاعر والباحث في التراث البدوي، الذي زرناه في بيته في مدينة رهط، واطلعنا على مكتبته الخاصة، وأدرنا معه هذا الحوار..

*** نبدأ ونطلب إليك أن تعرّفنا وتعرّف القراء عن نفسك..**

أنا من مواليد العام ١٩٥٥م من سكان مدينة رهط، أنهيت الثانوية بالتحصيل الخارجي وحصلت على شهادة بجروت في العام ١٩٨٢م، عملت لفترة ٣ سنوات أميناً لمكتبة السلام الإرشادية في رهط، وهي مكتبة أنشأتها البلدية لفترة تجريبية، بعدها عملت مع أحد أبنائي في دكان، ثم تفرغت لاحقاً للتأليف والكتابة.

*** لو تُحدِّثنا وتُحدِّث القراء الكرام عن مكتبتك الشخصية؟**

هذه المكتبة التي بنيتُها منذ العام ١٩٧٠، كان والدي – رحمه الله – قد اشترى لي بعض الكتب التراثية، أذكر أنه اشترى لي مجموعة كبيرة لأنه كان يحب سماع القصص القديمة وقصص البطولات العربية، اشترى لي سيرة بني هلال، سيرة عنترة العبسي، سيرة الزير سالم، وسيف بن ذي يزن، كنت أحب القراءة

وكان والدي يجتمع عنده الشيوخ الكبار ويطلب إليّ أن أقرأ لهم من هذه القصص، وكانوا يستمتعون كثيراً، وكانوا يجتمعون يومياً تقريباً.

*** ما هو أول كتاب اشتريته من جيبك الخاص؟**

أول كتاب اشتريته على حسابي الخاص هو كتاب دمعة وابتسامة لجبران خليل جبران وكتاب ديوان المتنبي (الكتاب قديم ومدون علية تاريخ الشراء (١٨-٠٦-١٩٧٢ م)، ثم فُتحت شهيتي للقراءة وبدأت أكوّن هذه المكتبة.

*** أكثر كتاب تحبه وتجد معه علاقة خاصة؟**

هو كتاب (تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) لجرجي زيدان، كنت أصطحب معي هذا الكتاب في الباص للوصول إلى (عزاتا) حيث عملت فترة هناك في البيارات.

*** ما هي أغلب العناوين في مكتبتك؟**

في المكتبة خليط من الكتب، ولكن الكتب الغالبة والتي أحب قراءتها هي الكتب التاريخية والأدبية، وتاريخ الأدب العربي واللغة العربية وعلومها إضافة إلى الموسوعات الدينية.

*** هل لديك كتب بلغات غير العربية؟**

نعم ولكن قليلة، عندي بعض الكتب باللغة الإنجليزية وأخرى باللغة العبرية.

*** كم تقدِّر عدد الكتب في مكتبتك؟**

أقدر عدد الكتب ما بين ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ كتاب.

*** ما هو معدل قراءتك اليومية؟**

أقرأ يومياً ما بين ٤٠–٥٠ صفحة، وأكتب وأجمع مواد يومياً، أراجع بشكل مستمر القواعد العربية حتى أظل على صلة مع اللغة وعلومها.

*** أرى لديك في المكتبة حاسوباً، فبماذا تستخدمه؟**

أستخدم الحاسوب للطباعة وتنزيل كتب من الشبكة العالمية للمعلومات، لأن فيها كتب هائلة وقيمة، ومفيدة وربما نادرة، خاصةً المخطوطات.

*** كيف تجد القراءة من على صفحات الحاسوب وهل هي بديل عن القراءة في الكتاب المطبوع؟**

القراءة من على صفحات الحاسوب يمكن أن تشكّل أداة للقراءة ولكن تبقى القراءة في الكتاب المطبوع أفضل وأكثر متعةً.

*** أنت كقارىء كيف تنظر إلى مجتمعنا: هل هو مجتمع قارىء؟**

لا أظن أن مجتمعنا العربي في هذه البلاد وفي منطقة النقب خاصة هو من المجتمعات القارئة، ربما يعود ذلك لعدة أسباب من أهمها نقص الوعي القرائي وأهميته في حياة المجتمعات؟

*** كيف يمكن أن نسعى لتطوير وتنمية الوعي القرائي في مجتمعنا؟**

هناك وسائل عديدة يمكن أن نحقق من خلالها هذا المطلب الملحّ من أهمها حسب رأيي أن نوجد نواةً لمكتبة عامة في كل بلد وقرية، نحن في رهط نعمل حالياً من أجل تحقيق هذا المطلب، وتسعى بلدية رهط في الفترة الراهنة لإنشاء مكتبة ضخمة وسيكون لنا دورنا في دعم هذه المكتبة حتى تكون معيناً لكل باحث وطالب علم.

*** بعد أن تفرّغتَ للعمل الكتابي والأبحاث، ما هي المؤلفات التي أصدرتَها؟**

صدر لي إلى اليوم ثمانية كتب وهي:

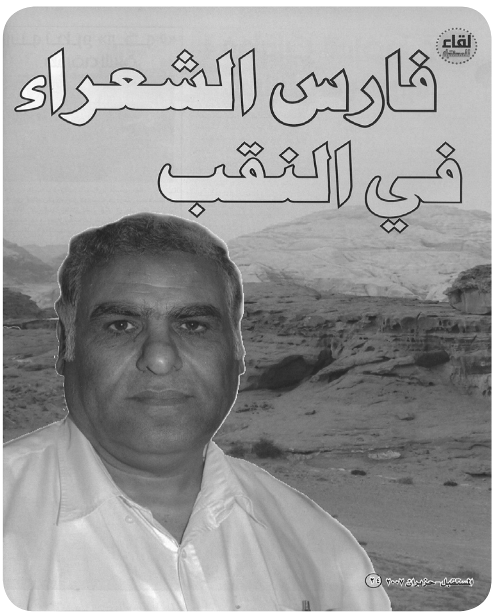
جمر ورماد (مجموعة شعرية)، من الأمثال البدوية (أمثال شعبية)، أنغام حائرة (مجموعة شعرية)، حكايات من الصحراء (حكايات شعبية)، عبارات ومصطلحات من البادية، المأكولات الشعبية في النقب، المرأة العربية في النقب، وكتاب تحت الطبع هو (الغناء والموسيقى عند البدو).

* **هل لديك مشاريع مستقبلية؟**

نعم، أجمع حالياً مواد عن حضارة الأنبـاط، التي هي حضارة عربية، لإخراجها على شكل كتاب.

نشكر لضيفنا الكريم على حسن استقباله لنا ونتمنى له مزيداً من العطاء.

نشرت في أخبار النقب: الثلاثاء ٠٢/ ٠٦/ ٢٠٠٩م



فارس الشعراء في النقب

حاوره: يوسف أبو صهيبان

عدسة: رامز الزبارقة.

لن نوفيه حقه...

وبخجل أخطّ هذه الكلمات كمقدمة للقائنا معه، خجل يخالجك عندما تتحدث عمن يكبرك بدرجات ودرجات، عندما تحاول الثناء على من لا يحتاج لثنائك، وتذكر مآثر من لا تخفى على أحد مآثره...

ماذا عساني أقول؟ شاعر النقب الأول، والكل يعلم أنه كذلك... أقول رائد الكلمة في الصحراء... هو كذلك ولو لم أقل.

لن نوفيه حقه...

لكن لا بدّ لكلمة شكر إلى من وهب عمره للكلمة... للشعر... للتراث، إنه فارس بحق، بشجاعة أعتى الفرسان اقتحم الشعر.. وتعارك مع الكلمات، وصارع المعاني في جولات وصولات تردد صداها بعيداً... والتهبت الأيادي له تصفيقاً... كلمته تقال في النقب، وتسمع في أرجاء العالم، وتدمع لها أمواج المحيط وتطرب لها شواطئ الخليج... مع هذا الفارس كان لنا هذا اللقاء...

- من هو صالح الزيادنة؟

من الصعب على الإنسان تعريف نفسه، ولكن يمكن أن أقول بأنني إنسان آمن برسالة ويسعى لتحقيقها وهي إبراز الصورة المشرقة لهذا الجزء الغالي من الوطن، والتعبير عنه وعن تطلعاته وطموحاته بكل أمانة وصدق، وتوثيق أكبر قدر ممكن من تراثه العريق، وعاداته الأصيلة الطيبة، حتى تكون له مكانته في سِجِلاّت التاريخ.

– متى ولد حبّك للأدب والقريض؟

حبّي للشعر والأدب ولد وأنا في الخامسة عشرة من عمري، حين بدأت أكتب محاولات شعرية قصيرة، وخواطر مختلفة، وأخذت أعبّر عن نفسي بالحرف والكلمة، ثم نما وازداد حتى أصبح إدماناً، فأنا أقرأ وأكتب في كل يوم، وما زال الشعر رفيقي الذي أبثّ إليه أشجاني، وأعود إليه عندما يدقّ الحزن جدران نفسي.

– هل تقف في وجه الشاعر في النقب عوائق أكثر من غيره من الشعراء؟

لا شكَّ أن طريق الشاعر في النقب لا تخلو من العوائق، وهي ليست محفوفة بالورود والرياحين، فالمنطقة بحدّ ذاتها تبعد كثيراً عن المراكز الثقافية في البلاد، والشعر والأدب كالتجارة ينمو بالأخذ والعطاء، فإذا لم تكن للشاعر قاعدة من المعارف يستند عليها فإنه يظلّ يغرّد خارج السرب، وهناك عوائق أخرى لا تقلّ صعوبة عن الأولى، فإصدار كتاب من الأمور التي تكاد تثبط عزيمة الشاعر، فهو يدفع تكاليف الإصدار ثم لا يجد من يقرأ أو يشتري كتابه، فيضعه على الرفّ ويُقنع نفسه بأنه عمل ما يجب عليه أن يعمل، ثم يتطلّع إلى إصدارات أخرى وإن كانت الحسرة تملأ نفسه لمعرفته بأن مصير الإصدار الجديد لن يكون أفضل من سابقه.

– هل يحمل الشاعر في النقب همّاً أكبر من باقي الشعراء؟

الشاعر في النقب يحمل همّاً يفوق حدّ التصوّر، كيف لا وهو يرى البيوت في منطقته تُهدَّم بالعشرات، ويرى الأطفال يُتركون في العراء بلا مأوى، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، يرى أماكن العبادة تتحطّم بين فكّي آلات الهدم الجبارة، هو يصرخ ويخدش السماء بأظافره ويعيش في دوامة من أحزانه، ويتساءل: أين حرية

الإنسان وحقّه في أن يعيش بكرامة؟ في حقه أن يتنفّس هواء الحرية وأن يعيش كما يعيش أي مخلوق على هذه اليابسة، هذه الأشياء، وأخرى كثيرة تجعل الشاعر في النقب يحمل همّاً أكثر من غيره.

– كلّفت نفسك أمراً خارج نطاق مهمة الشاعر.. ألا وهو جمع التراث البدوي وحمايته، حدثنا عن هذه التجربة.

البداية كانت منذ أكثر من ٣٠ عاماً، حين كنتُ أكتب ما أسمعه من أبي وممن هم في مثل جيله، وكنتُ أحفظ الحكايات الشعبية التي أسمعها من أمي وشقيقتي الكبرى، وفي عام ١٩٩٥ بدأت بجمع الأمثال الشعبية وشرحها، ولم يكن لديّ مرجع سوى الذاكرة وما أسمعه من أفواه الناس، ثم أصدرت هذه الأمثال في كتاب عام ١٩٩٧م، ثم أصدرت بعد ذلك كتاب «حكايات من الصحراء»، وبعده كتاب «عبارات ومصطلحات من البادية»، ونشرت في صحيفة أخبار النقب أكثر من ٥٠ مقالة تراثية، ولديّ عدة كتب جاهزة للطباعة ولكن ضيق ذات اليد يحول دون صدورها في الوقت الحاضر، وما زلتُ أبحثُ وأنقِّب عن كل ما يتعلّق بتراثنا الغالي دون كللٍ أو ملل.

– هل تخشى من ضياع التراث برحيل كبار السنّ؟

لا شكّ أن كبار السنّ هم كنز ثمين، وهم سجِلاَّت تراثية تمشي على الأرض، ومن الطبيعي أنهم يعرفون من التراث أكثر مما نعرف، وهم مصدر حيّ لتراثنا الغالي، ولا شكّ أنّ في غيابهم خسارة كبيرة لنا، ونسأل الله أن يمدّ في أعمارهم، وأن يجعل خاتمتهم خاتمة خير وبركة.

– من ملهمك؟ أو ما هو ملهمك؟

في بداية المشوار الشعري غالباً ما تكون المرأة هي الملهمة، لأن الرجل يرى فيها مصدراً للجمال، وأن فيها من الصفات الملائكية من طهر وبراءة ما يجعلها ملهمةً لشعره، فتدور حولها قصائده، وترفرف فوقها طيوره، ولكن على الشاعر أن يكون عفيفاً، وأن يكون نقياً وَرِعاً، فشهرة الدنيا لا تغنيه عن يومٍ يقف فيه أمام ربّه، وحينها لن تنفع القصائد ولن تُجدي الشهرة.

ولا تظل المرأة ملهمة أبدية، فما أن ينضج الشاعر ويشتدّ عُودُه حتى يصبح مرآةً صادقة لشعبه، يحمل قضاياه وهمومه، ويُعبّر عن أمانيه وطموحه.

– لك تجارب في تشجيع كُتَّاب جدد على التقدّم وإصدار دواوينهم أو كتبهم.. حدثنا عن هذه التجربة.

منذ سنوات طويلة وأنا أحاول أن أرقى بثقافتنا وأدبنا المحلي إلى المستوى الذي يليق بهذه المنطقة، ولذلك فأنا أحاول أن أرعى كلّ من يُمسك القلم ويسطر به سطوراً من الجمال والإبداع، إيماناً مني بأن نقبنا متعطّش لكل كلمة تُكتب تحت سمائه، وما زلت حتى اليوم أراجع أعمالاً أدبية وشعرية تصلني بالبريد الالكتروني لبعض الشباب من النقب وأكتب ملاحظات تشجيعية تزرع الثقة في نفوسهم، وتقودهم إلى طريق الفنّ والإبداع.

– يلاحظ القارئ لقصائدك الأخيرة أن هناك رنّة أسف.. أو يأس في شعرك.. ماذا تقول؟.

ربما هي رنّةُ حزن، ورنّة اكتئابٍ وأسى، إنه النضج الفكري الذي يأتي بعد أن يتقدّم العمر، يحزن الشاعر وهو يرى سفينة العمر تمخر به في عباب المجهول، وتكاد ترسو به في مرافئ العدم وشواطئ اللا معلوم، وكثيراً ما يسأل نفسه: هل قدمتُ ما يستحقّ البقاء؟، وهل ما قدمته يعود بالنفع على الناس أم لا؟ وغالباً ما

تظهر هذه الأحاسيس بين ثنايا القصائد وبين انحناءات الحروف.

– ما هي علاقتك بالشعراء المحليين؟

علاقتي بالشعراء المحليين علاقة طيبة جداً، وتربطني بالكثير منهم علاقات ودية حميمة، وبيننا زيارات عائلية مختلفة، ولي معرفة شخصية بمعظم الشعراء والكُتّاب المحليين بسبب مشاركتي في مهرجانات الشعر الفلسطيني في طمرة والناصرة والتي ضمَّتْ العديد منهم، إضافة إلى الندوات والأمسيات الشعرية التي كثيراً ما تجمعنا معاً.

– قصيدة «خمسون» ماذا تريد أن تقول؟

كانت الفكرة أن أكتب قصيدة طويلة، أو مطوَّلة شعرية كما يسمّيها البعض تحمل اسم «خمسون»، أعبّر فيها عن مراحل حياتي المختلفة، خاصة وقد بلغتُ الخمسين من العمر، وكنتُ أنوي إصدار القصيدة في كُتَيِّب خاص، وقد بدأت بالفعل في نظم القصيدة وتبويب مواضيعها وترتيبها في مقاطع، يُعبّر كل مقطع منها عن مرحلة من مراحل العمر، ولكن الظروف لم تكن مُهيأة فاكتفيت بالمقطع الأول منها وهو ما أسميته تمهيداً للقصيدة، وإذا ما أسعفتني الظروف فسوف أعود إليها إن شاء الله تعالى، فعسى أن ترى النور كاملة في فترة من الفترات.

– لماذا توقفت «قافلة على الطريق»؟ حدثنا عن هذه التجربة.

كانت فكرة «قافلة على الطريق» بداية مشواري في رعاية الكُتَّاب والشعراء الناشئين، إلا أن الذين شاركوا فيها خرجوا إلى خضمّ الحياة وأصبحوا ناجحين، وأنا أغبطهم على ذلك وأتمنى لهم الخير، غير أنه لم يُسقسق واحدٌ منهم على دوحة الشعر، وأعتقد أن الفكرة كانت طيبة، وأنه يجب أن تبقى هناك دائماً قافلة

على الطريق عسى أن يخرج منها من يسلك طريق الشعر والأدب.

– حصلت على جوائز عديدة.. أي الجوائز هي الأقرب إلى قلبك؟

كانت أكبر جائزة هي جائزة هي جائزة التفرغ الأدبي التي حصلت عليها عام ٢٠٠٢م، وكنتُ أوّل من يفوز بهذه الجائزة من الكُتَّاب العرب في منطقة الجنوب. وكلّ جائزة أو شهادة تقديرية مهما كانت بسيطة أعتبرها وسام شرف وتقدير تدفعني لكي أعطي المزيد والمزيد.. فمن يمنحك جائزة أو شهادة تقديرية يتوسّم فيك الخير وعليك أن تكون عند حسن ظنّ الناس بك.

– شخصية أثَّرت في صالح زيادنة؟

هناك أكثر من شخصية كان لها تأثير على شخصيتي بشكلٍ أو بآخر، ففي البداية اكتسبتُ من شخصية أبي البساطة والتسامح، وفي المجال الأدبي كان لشعراء المهجر الشمالي والرابطة القلمية تأثيرٌ عليّ في بداية مشواري الأدبي، ولكن بعد أن تنضج التجربة ويسلك الكاتب طريقه ويصبح له أسلوبه الخاص وطريقته في التعبير، تبرز شخصيته ويقلّ تأثير الشخصيات عليه ويضمحلّ حتى يكاد لا يظهر.

ولكن هناك شخصيات يتخذها الإنسان قدوة يتعلّم منها دروس الحياة كشخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتي هي منار لكلّ مسلم، ولكلّ من يتبع طريق الخير والرشاد.

– حدثنا عن مشاريعك المستقبلية؟

المشاريع المستقبلية كثيرة ولكن أهمها الآن هو إصدار عدد من الكتب التراثية التي جمعتُ مادتها وراجعتها ولم يبقَ إلا أن أدفع بها للمطبعة، وأتمنى أن تُسعفني

الظروف لأصدر بعضها خلال هذا العام بعون الله تعالى.

– حدثنا عن صالح زيادنة الإنسان؟

أنا إنسان بسيط كأي شخصٍ في بلدي، متزوج ولي أبناء وبنات وأحفاد، أُحبّهم وأفتح قلبي لهم ولا أضنّ عليهم بشيء، أصارع مثل غيري من أجل لقمة العيش الكريمة، ولا أكتم أن الوضع الاقتصادي يُنغِّص عيشي ويقضّ مضجعي، ولكن رغم ذلك ما زلتُ أتسلَّح بسلاح الصبر، ولا أقطع خيوط الأمل، وأكتب في كلّ يوم، لا أكِلُّ ولا أَمِلّ، إيماناً مني بأن الفرج قريب، وأن الله لا ينسى أحداً من فضله.

– ماذا تُحبّ.. وماذا تكره.. في مجتمعنا.

أُحِبّ مجتمعنا ككلّ وأحبّ أهلنا في الجنوب حُبّاً يفوق الوصف، وأكره في مجتمعنا بعض العادات البغيضة المستوردة، والتصرفات السلبية الشاذة التي لا تمتّ إلى تراثنا العربي العريق ولا إلى إسلامنا الحنيف بأي صلة.

أكره الكذب والنفاق والابتسامات الصفراء التي تُطلّ علينا في شهور المرحبا، وأكره إثقال كاهل الناس بالضرائب الباهظة والتي تفوق دخلهم البسيط، وتجعلهم يعيشون في ظروف متدنية وتحت خط الجوع والفقر.

– «حزن الشاعر»؟

حزن الشاعر هو تعبير عن الأحاسيس والمشاعر التي تختلج في نفسه، حزن الشاعر هو نوع من الكآبة التي تنبئ بولادة قصيدة، حزن الشاعر صرخة تحدٍّ لما يحدث في هذا العالم من مصائب وويلات، حزن الشاعر ترجمة للمشاعر المكبوتة والحقوق المهضومة لدى الشعوب.

– قصيدتك في رثاء نزار قباني كانت من أروع القصائد على مستوى العالم، نريد

أن نعرف المزيد.

كان شعر نزار قباني وما زال من الأشعار العذبة التي أُحبّها كثيراً، وقد قرأتُ معظم أعماله الشعرية، وعندما توفي كان لوفاته وقع عظيم في نفسي، فتأثرت بذلك ونظمت قصيدة «دمعة على نزار»، وهي بحقّ دمعة صادقة لا تعرف الرياء والتلوين، وقد اشتهرت القصيدة، ونشرت في العديد من المواقع على الشبكة، وهي تُنشر اليوم في موقع سوري يُعنى بشعر نزار قباني وتراثه الفكري.

- في أي ساعات من اليوم تكتب الشعر؟

أهدأ الساعات لكتابة الشعر هي ساعات السَّحَر أو ما قبل الفجر، ولكن يمكن للشاعر أن يكتب في أيّ ساعة أخرى من النهار، خاصة إذا توفّر لديه الجو الهادئ والظروف المريحة، إضافة إلى أن القصيدة أحياناً تفرض نفسها فيجد الشاعر نفسه مسوقاً إلى الكتابة فيخلو بنفسه ويرفرف بجناحيه في عالم الحلم والجمال فيعود وفي جعبته قصيدة طازجة جميلة.

- هل فكّرت بإنتاج شعر مسموع؟ ديسك أو شريط.

لم أفكّر في الموضوع بشكل جدّي، لأنني أُحبّ أن أسمع شعري بصوت غيري، ولكنني في القريب سأحاول أن أخوض هذه التجربة ولو بشكلٍ ضيّق محدود.

- كلمة أخيرة للقراء.

أقول لقرّاء المستقبل ولكلّ القرّاء الأعزّاء بأني أُحبّكم جميعاً، وأرى فيكم المستقبل الزاهر لهذه المنطقة، فتسلّحوا بالعلم فهو خير سلاح، وتأكدوا بأن من سار على الدرب وصل.

* * *

مجلة المستقبل، حزيران ٢٠٠٧.

كتب وكُتّاب



سهيل عيساوي وصالح زيادنة في بيت الأخير بتاريخ: ٢٦/٠٧/٢٠٠٧.

رحلة الحب والضياع
في شعر نعيم جبور

بقلم: صالح زيادنة

نعيم جبور شاعر من الجنوب، من بلدة «رهط» الفتية، أنشد بصوت رخيم فأشجى وأطرب، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس البلدة، وكتب الشعر ونشره في الصحف المحلية.

أصدر باكورة أعماله في مجموعة شعرية بعنوان «بقايا حلم» في أكتوبر ١٩٩٠، وهي أول مجموعة شعرية تصدر في الجنوب، ونشر بعض قصائده الأخرى في الصحف الأكثر انتشاراً كتلك التي تصدر في الشمال.

من خلال مطالعة ديوانه يشتم القارئ رائحة الغربة، والضياع، والتشرد، والبحث عن الذات. ففي الديوان نجد هذه العناوين: مأساة كل ضائع، مأساة عاشق، بكائية الصمت والدموع، طفل بلا حلم، إلى عصفور مغترب، اللقاء الأخير.

فحتى العناوين تدلّ على ما في نفس الشاعر من يأس، وضياع، وتذبذب في عالم ضبابي مجهول. وعندما نعبر الشاطئ ونتغلغل قليلاً في الديوان نقف عند قصيدة «مأساة كل ضائع» لنقرأ هذه الأبيات:

مسافرٌ أنا بلا حقيبة

ذاهبٌ إلى لا مكان

لا أحد ينتظرني

ولا أحد يودعني

غريبٌ أنا بين هذه المواكب العابرة

وهو في مكان آخر يقول:

عمَّ تبحث؟

أيها الطفل العاري

الهارب إلى كلّ أرصفة الحزن

وشوارعِ الموت الصاخب

وها هو في قصيدةٍ أخرى يعبّر عن مدى ضياعه، ووحدته، وانفراده:

ستبقى شريداً في البيداء

لا ضوء يهديك ولا قمر

وتظل دموعك في عينيك

وتعاني الأرقَ، وطول السهر

وستبقى أسيراً في الدنيا

وتظل وحيداً طول العمر

وهو في قصيدة أخرى يتمطّى بصلبه ويبشّر ويعلن للناس عن ميلاد شاعر:

كزورقٍ هاربٍ في مصائب الدنيا

يصارع أمواج البحر الهادر

أتت مع العاصفة همساتٌ غريبةٌ

معلنةً عن ميلاد شاعر

وهل يدرك الناس يا نعيم معنى ميلاد شاعر؟ هيهات؟ هيهات؟.

أتذكر حديثي لك عن «السياب» الذي عاش فقيراً مشرداً، وبعد موته نصبوا له تمثالاً شامخاً على ضفاف شط العرب...

هذه حال الدنيا، وحال الناس فلا تطمع يا صديقي في غير ذلك.

أما عن الحب فقد أسهب صاحبنا وأطال، فالحديث عن الحب شجيّ وشيّق، إنه لغة القلوب، واللحن الذي تهواه النفوس، استمع إليه وهو يناجي حبيبته:

ما بين عينيك والشمس

يكمن سرُّ الحبّ

وعلى أفقِ عينيكِ الواسع

يجتازُ العشّاقُ ساعاتِ المساء

وعندما يشعر الإنسانُ بالغربة، ويستبدّ به الضياع والحنين، يلجأ إلى صدر المرأة لأنه خير ملاذ، إنها المأوى الذي خلقه الله لنا لنسكن إليه، ولكن الحبيبة بعيدة والوصول إليها شاقّ:

الازدحامُ شديدٌ ..

والوصولُ إليك شاقّ

وأنا مشتاقٌ مشتاقْ

أبحثُ عن عنوانك

على كل جدار، وكل باب

قُربَ البيت، وعلى الأعتاب

وهو يؤكد لها أنه سيبقى على حبها، ويطلب منها أن تذكره ولا تنساه:

فاذكريني عند كلّ ساقية

على أيامها تنوح

عند كلّ نهرٍ

بأسراره للوردِ يبوح

عند كلّ زهرة

عطرها منها يفوح

وإن حدثتُكَ عن الحبّ، فلا تسرح بعيداً، فالحبّ هنا في الصحراء شيء مختلف تماماً، تذكر معي قصة ابن الملوّح وليلى العامرية التي كان إذا صلى يَمَّمَ نحوها،

فالحب عندنا يشبه حبهما تماماً، نظرة، فابتسامة، فحبّ، فعذاب إلى ما شاء الله.

فالويل لمن تسوّل له نفسه بذكر حبيبته، أو التشبيب بها..فمصيره معروف، أما إذا تجرّأ أحدهم واحتفظ بخصلة من شعرها كالتي احتفظ بها الياس فرحات من قبل فهذه هي الطامة الكبرى، ولن تُطهّر صاحبنا مياه البحر المتوسط، الحب هنا يبقى في القلب ولا يبرحه كحبّ أبي الطيب لشقيقة سيف الدولة، الذي بقي سراً في قلبه إلى أن مات، تتزوج الفتاة من قريبٍ لها، ويسير الرجل في متاهات الحياة لا يلوي على شيء. وحبّ نعيم جبور من ذلك الصنف، ولا يشذّ عن هذه القاعدة، فها هو يبحث عن حبيبته في كل مكان، ويسأل عنها موج البحر، ويسأل فيروز الشطآن، ولكنه كالذي يجري وراء السراب:

تاهَ زورقي بين أمواج البحر
وضاعت أيامي سُدى
كنتُ أبحثُ عنكِ..
لكني كنتُ أسيرُ على غير هدى
فكلما سمعتُ صوتاً
قلتُ: ربّاه.. إنه هذا الصدى
وكلما رأيتُ شبحاً بعيداً
اقتربتُ منه..
فإذا به سرابٌ وندى

وهو يصلّي مع العصافير لتعود إليه ولكن هيهات:

تعلمتُ صلواتِ العصافير التائهة
وفي كلّ يومٍ ردّدتُ صلاةْ

سألتُ الأشجار عنكِ

حتى صارت دموعي

سيولَ مياهْ

وقد يختلف شاعرنا مع حبيبته، ولكنه كجبران «يضع خلافاته في صندوق من الذهب ويرمي بها إلى بحر من الابتسامات»:

لا تعاتبني..

فحبّي لك قد ضاع

وأصبحَ سفينةً بلا شراع

تسيرُ على غير هُدَى

في بحرٍ أمواجه

تتخبط في كل باع

وقد يتشاءم أحياناً، وتضيق نفسه، ويتذمّر من الدنيا والناس فنراه يقول:

في بلادنا رجالٌ كثيرون

لكن قلوبهم من خشب

لهم دينٌ، لهم إله يعرفونه

لكنهم يعبدون الذهب

هذه نبذة قصيرة عن الشاعر نعيم جبور الذي غرّد كالكروان في أرض قاحلة جدباء، وظلّ صوته يتردد في سمع الليل كهفهفات النسيم في ساعات الفجر، وعن ديوانه «بقايا حلم» الذي وإن كانت به بعض الأخطاء المطبعية يظلّ أول ديوان يصدر في الجنوب.

* * *

نشر في ملحق كل العرب بتاريخ الجمعة ٠٥/٠٦/ ١٩٩٢م.



من اليمين: الكاتب عبد العزيز أبو إصبع ، الشاعر صالح زيادنة، الشاعر محمود الدسوقي، والشاعر عبد الرحيم الشيخ يوسف في مدرسة النجاح في رهط بتاريخ ٢٠٠٦/٠٥/١٨م.

سهيل عيساوي
يغزل الشمس بقصائده

بقلم: صالح الزيادنة

قصائد تغازل الشمس هو كتاب جديد آخر ينضم إلى قائمة مؤلفات سهيل عيساوي والتي يطرق بها الساحة الأدبية أكثر من مرة في العام الواحد، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدلُّ على نشاطٍ أدبيّ متميّز ومواكبة فعّالة للركب الأدبي في رحلة إبداعية مثمرة.

وقبل أن نبدأ الحديث عن الكتاب ومحتوياته أحب أن أقف قليلاً عند كلمة الشمس التي تغازلها قصائد الديوان والتي استوقفتني لبعض الوقت، فما لسهيل ولهذه الشمس التي يذكرها كثيراً ؟ فهي في عنوان الكتاب تغازل القصائد، وهو يهدي كتابه للذين يرتدون ثوبها رغم حرارته، وفي كتاب آخر له مع بعض رفاقه نجد اسم الكتاب نحو الشمس، وأسأله قائلاً: ما قصتك يا أخي مع هذه الشمس، وماذا تقصد بها ؟ فيقول: إنها رمز الحرية ويصمت ولا يزيد على ذلك، وإن كانت نظراته التي تُحدِّق في اللا منظور تدلّ على أنه ينظر إلى أشياء بعيدة ويطمح إلى ما هو أبعد من الشمس، وربما هو يطمح إلى كلّ ما يبلغ بالإنسان إلى السمو والرفعة، وإلى المجد والعلياء وهذه الأشياء لا تتأتى إلا في حالة وجود الحرية، فالشمس إذن هي الحرية كما يقول، وإن كنا نرى أن طموحات سهيل لا تقف به عند الشمس بل تتعداها بكثير إلى مجرّات أخرى.

ثم نلجُ أبواب الديوان وهو صغير في حجمه فتلاقينا قصائد أربع تتحدث عن مأساة العراق في محنته الأخيرة، وهذه القصائد هي: «حين هوت بغداد»، «ليتني يا بغداد»، و«كلمة صغيرة إلى طفل كبير» والتي يهديها إلى الطفل العراقي (علي)

الذي فقد عائلته جراء العدوان الأمريكي، و«هولاكو الأمريكي».

ولا شك أن مأساة العراق، ومأساة العروبة في هذا العصر أكبر من أن تتحملها مشاعر الإنسان العاديّ، فما بالك بشاعر تتحرك مجسات استشعاره في كلّ اتجاهات العروبة فيرى الضعف والتخاذل والذل والهوان والانسحاق تحت أقدام الآخرين، كل هذه الأشياء تترك بصماتها على نفسية الشاعر العربي، ويقف أمامها حائراً متسائلاً، يهدهد مشاعره ويكفكف دموعه، ويبكي حيناً، ويدقّ على صدر الكلمات فتنزف حروفه لظى وحزناً وشظايا من غضبٍ وألم، وهو يعرف برغم كل ذلك بأنّ الشعر في هذا العصر الأصفر ليس أكثر من صرخة في واد ولن يغيّر شيئاً من ذلك الواقع الأليم.

كان المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي يبكي وهو يرى الحضارات تنهار أمام عينيه، وهو لم يكن يبكي على حضاراتنا بطبيعة الحال، فنحن أحق منه بالبكاء على هذه الحضارات التي سقطت وانهارت أمام أعيننا وضاع بسقوطها كمّ هائل من كنوز تراثنا، وجزء لا يستهان به من مخلفات تاريخنا العريق.

يحقّ لسهيل والحالة هذه، ولكلّ شاعر مثله أن يبكي، وأن يخطّ بسنان يراعته آلام نفسه وعذابات شعبه وتطلعات أمته، كيف لا وهو قد درس التاريخ وتخصَّص فيه وعرف الكثير من دخائله وتقلباته عبر العصور المختلفة، يحق له أن يبكي وأن يخدش السماء بأظافره كما عبّر نزار قباني في رسالته لعبد الناصر عندما مُنعت قصيدته «خبز وحشيش وقمر» من النشر في مصر.

يحق له أن يكتب سطور الأسى على أوراق الحزن وهو يرى الأمة العربية والإسلامية تقع تحت نير الاستعمار الغربيّ الجديد، وما آلت إليه من الذلّ والخنوع والاستسلام.

يحق له أن يفعل ذلك وهو يرى العرب يُصفّقون وهم يرون حاضرة من حواضرهم

تنهار بكلّ ثقلها أمام أعينهم ولا يفطن على بال أحدهم بأنهم أُكلوا يوم أُكل الثور الأبيض، فنراه يعبّر عن ذلك بقوله:

حينَ هَوَتْ بغداد

كانَ المعتصمُ يقفُ حائراً

على أعلى ملويَّةِ سامرَّاء

تنحدرُ من مقلتيهِ دمعةٌ خجولةٌ عذراء

ويقول في مكانٍ آخر:

ليتني جرعة دواء

أخفِّفُ الألمَ عن جريح

وأمسحُ الحزنَ الرابضَ في عيونِ أمٍّ ثاكل

فقدتْ طفلَيْها في ملجأ العامرية

وفي مكانٍ آخر يقول:

«والعرب يمتلكون نصف احتياطي العالم من الدموع

تغرق حضارة الرشيد

ولا نغيّر النشيد»

وفي قصيدته التالية «أفغاني إن شاء الله» يتحدث عن المأساة الأفغانية ويقول:

«طَائِراتُ الشَبحَ اِلأمريكية

تبْحَث عَنْ ثلاثةِ أطفالٍ

الأول يَلعَنُ البيت الأبيض.

والثاني لا يحلم بزراعة الأفيون

والثالث يصلي لِلقدُس»

أما في قصيدتيه «يا أمة الإسلام» و «شعبي والصليب» فهو يعود باللائمة على

أمة الإسلام والتي قَهرت جحافل الروم والفُرْس واتكأت على سور الصين، ويسأل كيف نجمنا قد أَفَل وأصبحنا نستجدي المال والعِلم ممن كانوا بالأمس آفة الجهل»، ويعبر عن عناء شعبه بقوله:

«رجال يبحثون عن لقمة الخبز

وبدلةٍ لعيد القدس

كفرَ أعرابُ النفط برسالة الربّ

ومعهم أممٌ من العجم

والتاريخ أصدق الرُّسُل»

أما في قصيدة «حكاية فارس» فهو ينظر إلى الإمام عليّ بن أبي طالب والذي ما حنى قامته لآلهة التمر والحجر، والذي فدى بروحه نور الرسالة، وربما يتمنى لو يجود الزمان بمثل هذا الإمام الفارس ليخلّص الشعب مما هو فيه.

أما نصيب الغزّل فهو ثلاث مقطوعات صغيرة هي: «مسرحية إغريقية»، و«عقارب الزمن» و«لو»، وفيها يقول بأنه لم يعد يعترف بعقارب الزمن وتقاسيمها السقيمة، لأن عقارب روحه تقف عند عيونها ويتحنط الوقت، ويتمنى لو يستطيع اختصار المسافات للإبحار في زوارق عينيها وليرتشف أنفاسها المبعثرة، هنيئاً لها على كلّ حال.

أما القصائد الثلاث الأخيرة ففيها يعبر عن حزنه لبعض الأحداث المؤسفة والأليمة والتي راح ضحيتها بعض من عرفهم، ويشارك أهلهم حزنهم ومصابهم على هذا المصاب الجلل.

ولذلك نرى أن أغلب القصائد في هذا الديوان تنطبع بطابع الحزن والألم والرثاء، نرى فيها الدموع تترقرق بين الحروف، ونلمس فيها الأسى ينساب بين المعاني، إن كان للعروبة الجريحة وما آلت إليه من أوضاع، أو لبعض معارفه الذين انتقلوا

إلى دار الخلود.

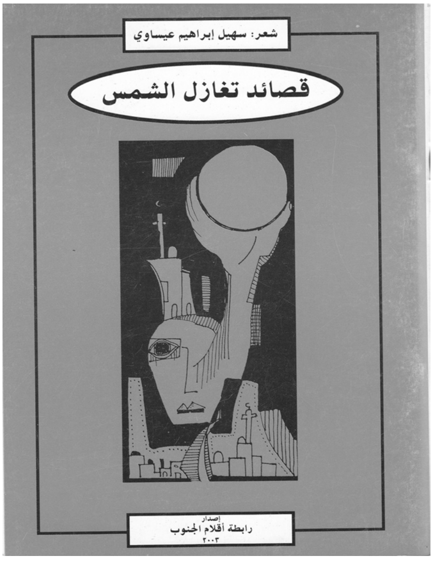
كنت أتمنى أن أرى شيئاً من الموسيقى في شعر سهيل، وأذكر أنه في أمسية شعرية طلب من أحد العازفين أن يصاحبه بموسيقاه الهادئة وهو يقرأ وصلة من قصائده، وكان الوقع جميلاً رضي عنه، وفي هذا ما يؤكد على ضرورة الموسيقى في الشعر، ونذكّر بقول أحدهم: إذا كان النثر يمشي مشياً فإن الشعر يرقص رقصاً ولا بد للرقص من موسيقى، نأمل أن نرى ذلك في قصائد سهيل القادمة.

وفي نهاية هذه الكلمة لا بد أن نقول بأن سهيل في إصداره هذا وفي إصداراته الأخرى يؤكد على أهمية الحضور الأدبي والذي يتمحور في استمرارية العطاء، ومتابعة القافلة الأدبية في رحلة الفنّ والإبداع.

أبارك لسهيل على هذا الكتاب وأتمنى له حياة سعيدة ومستقبلاً أدبياً زاهراً.

ونسأل الله الهداية والهدى.

* * *





في بيت الشاعر سعود الأسدي في الناصرة، من اليمين: سهيل عيساوي، سعود الأسدي وصالح زيادنة.

بين مطرقة البحث وسندان النقد

بقلم: صالح زيادنة

يقضي الكاتبُ سنواتٍ من عمره، يبحثُ ويستقصي ويكتب ويجمع ويوثّق، وهو في صراعٍ مستمرٍ مع الزمن، خاصةً في هذه المرحلة الانتقالية التي ذابت فيها عاداتُ الأمس تحت وطأةِ حضارةٍ سريعةٍ تلهثُ لهثاً، ويلهثُ خلفها من يُريد أن يلحقَ برَكْبِها الذي لا تُعرف له وجهة يقصدها ويتّجه صوبها، ولا مكان يحطّ عنده الرحال ويستقرّ فيه إلى أن يشاء الله.

وبما أن تراثنا أصابته شآبيبُ من هذه الحضارة المندفعة، فقضت على الكثير منه وما زالت تمدّ يديها لتسحب ما تبقّى، وساعدها في ذلك عامل العصر وتقدّم الزمان، فقضى كثيرٌ من كبار السنّ الذين هم معيننا الأوّل الذي ننهلُ منه ونستقي منه المعلومات، وهم مصادرنا الحيّة التي تشهدُ على العصر وتروي لنا ما شاهدت وسمعت، فأصبحت عملية التوثيق أيضاً تتسابق مع الزمن، وأصبح الباحث في حيرة من أمره من أين يبدأ، وأي المواضيع يتناولها قبل غيرها، أنبدأ مع الأرض التي ضاع معظمها، أم مع أسماء الأماكن والمناطق العربية التي لم تسلم هي الأخرى، أو مع عادات الناس والمجتمع التي تغيّرت من النقيضِ إلى النقيض، أم مع المقابر الإسلامية التي زحف عليها البناء وغطتها الحرش والأشجار وجرفت بعضها مخالب الجرافات وأنيابها.

كيف يستطيع الباحث أن يكتب، وهل يكتب مآسي الماضي وآلامه، أم يكتب مآسي الحاضر وأحزانه، وهل يُصوّر رسوم الديار التي غاب أهلها، أم يصوّر خيام الحاضر وهي تُهدم على رؤوس أصحابها، وهل يكتب رزازيعَ الأمس عندما كانت الفرحةُ تملأ النفوس، أم يكتب رزازيع العجوز التي تخطّت المائة عام وهي تستقبل

بها من جاء لمواساتها بعد تعرضها لما تعرّضت له.

حقيقة مُرّة لا ندري من أين نتناولها، وكيف نمسك أطرافها ونلملم خيوطها، فالتراث عالَمٌ قائم بذاته، حضارة أمة، ثقافة عصورٍ وقرون، حصيلة خبرةٍ وتجارب حياة، وهو أبواب مختلفة ومتنوعة، وكل منها يتفرّع إلى فروع متشعبة، فمن أين يبدأ الباحث بحثه، وهل يستسلم لليأس والإحباط، أم ينزوي في ركنٍ من أركان بيته ويقول: «حُط راسك بين الروس» وليكن ما يكن.

ولولا أن الكتابة رسالة سامية، يحمل عبئها من تهمّه قضايا أمته وشعبه لرمى كثيرٌ من الكتّاب أقلامهم، وكسروا محابرهم ومزقوا دفاترهم وأوراقهم، وقالوا ما لنا ولهذا العمل الذي لا نجني منه إلا وجع القلب والتعب والإرهاق.

وشاءت الأقدار أن يكون زميلنا موسى الحجوج أحد هؤلاء الكتّاب الذين دفعتهم الحياة في خضم هذا الباب، فحمل الرسالة بصبرٍ وأناة، واندفع يكتب ويوثّق، فكان كتابه الأول عن الشعر الشعبي، والقصائد التي ترتبط كُلّ منها بحكاية، وعن أغاني العامة وأناشيدهم وحكاياتهم المختلفة، ثم تلاه بكتابٍ آخر عن الألعاب الشعبية التي ضاع اليوم أكثرها، وجاء بعده بكتابٍ ثالث عن المعتقدات الشعبية التي أصبحت جزءاً من ثقافة الأمس وتاريخ الماضي.

وثارت حول بعض مقالاته زوبعةٌ من النقد والتساؤلات، خاصة تلك التي ينشرها عن قبور الأولياء والصالحين أو عن قصص الجن والغيلان، فهو وإن كان قد كتب عن المقابر وعن قبور الصالحين فهو لم يدعُ لزيارتها أو تقديم الطقوس لها، ولكنه كان يرى الأمور من زاويةٍ مختلفة ربما لم يتنبّه لها كثيرٌ من الناس، فهو يرى تلك القبور معالم عربية تُشهد التاريخ وتقول له إنّ هذه الأرض لنا، وإنّ هذه المناطق هي أيضاً لنا، وإن قبور أجدادنا دليلٌ قاطع على وجودنا هنا.

كان بعض الآباء يطلبون أن يُدفنوا في أرضهم، فدُفن بعضهم تحت شجرة أثل،

ودفن آخر قرب حاكورة صبر، وآخر في مغارةٍ بناها وقس على ذلك كثير. فإذا جاء الأحفاد اليوم لزيارة قبور أجدادهم ومعرفة تاريخ أرضهم التي ضاعت ولم يبقَ منها إلا الذكرى فهل يمكن أن نقول عنهم إنهم جاءوا لتقديس القبور وتعظيم الأموات أم أنهم جاءوا ليستنشقوا عبير بلادهم ورائحة التربة التي عاش عليها أهلهم وأجدادهم.

فكاتب التراث هنا لا يأتي بشيءٍ من عنده، اللهم إلا في جمال السرد وسلاسة الأسلوب أما الأحداث فلا يستطيع أن يُغيرَ منها شيئاً، وهو في كثير من الحالات مرآة تنعكس عليها صورة المجتمع في حالاته المختلفة سواء كانت جميلة عذبة أو أليمة مُرّة.

أما قصص الغيلان والجن والأرواح التي أسهب في بعضها، وأعطى للغيلان حيزاً كبيراً منها، فالأمر يعود لكثرة المادة التي جمعها وسجّلها، فأراد أن يثبتها كلها ولكننا عند إعداد الكتاب حذفنا ما تشابه منها، وهو بطبيعة الحال يدرك تمام الإدراك أنه لا توجد غولة على أرض الواقع، ولكنه يُعجب بخيال القاصّ الشعبي وكيف يسرد تلك القصص ويُدخل بها عامل التشويق، ويحيك خيوطها ويحسن سبكها حتى يجعلها مثار إعجاب السامعين.

ولم يكن هو أول من يكتب مثل هذه القصص، فعملية التوثيق أصبحت ظاهرة منتشرة في معظم البلدان العربية، وكلّ كاتب يكتبها بلسان قومه ولهجتهم، وحتى الغرب أُعجبوا بهذه القصص وعملوا منها أفلام الكرتون والصور المتحركة كقصة «كَاسْبِر» وأضرابه.

أما قصص الضباع والوحوش الضارية التي كانت تهاجم الإنسان بسبب الخلاء والجوع فهي قصص من واقع مجتمعنا، وقلما تجد شخصاً لا يحفظ ويروي عدداً منها، وبما أنها من قصص الناس وحكاياتهم فهي أيضاً تندرج تحت باب

التوثيق.

لو كان في قصص زميلنا موسى الحجوج ما يستوجب النقد لتصدى له شيوخ ودعاة ممن قرأوا هذه القصص وحتى ناقشوه فيها ولم يجدوا فيها ما يمس الدين أو العقيدة بشيء، زد على ذلك أنه رجل ملتزم بدينه والحمد لله تعالى.

ما أحوجنا إلى نقدٍ بنَّاء، ينبعُ من خبرةٍ ومعرفة، يُبيّن مواقع الخلل والصواب في إنتاجنا، ويكشف الغثَّ والسمين منها، ويقوِّم ما اعوَجَّ منها ومنا، فالنقد البنّاء ينقّي العملَ من الشوائب كما تُنقّي الأمطار وجه الأرض فتجعلها نظيفةً طاهرة، وإننا نتوسّم في أهلنا وأبنائنا خيراً ونتقبل آراءهم وتوجيهاتهم برحابة صدر إيماناً منا بأن أهدافنا واحدة سواء ذاك الذي كتب أو ذاك الذي قرأ، وما نحن في نهاية المطاف إلا بشر نخطيء ونصيب والكمال لله وحده.

* * *

رهط في: ٢٠١٠/٠٢/٠١



صالح زيادنة مع الشاعر فهد أبو خضرة في منزله في قرية الرينة في العام ٢٠٠٤.

عبد الرحيم الشيخ يوسف
كما عرفته

بقلم: صالح زيادنة

عبد الرحيم الشيخ يوسف، اسمٌ لمعَ في عالم الفكرِ والأدب، وشعلةُ إبداعٍ أضاءت بنورها سماءَ أدبنا المحليّ، عرفتُه قبل سنواتٍ طويلة من خلال متابعتي لأعماله الأدبية المنشورة في الصحف المحلية، ومن خلال كتبه المقررة في المناهج الدراسية. وشاءت الظروف أن يكونَ بيننا لقاء، ثم تلته لقاءاتٌ أخرى كان يحلّ فيها ضيفاً على منطقة النقب، تلك المنطقة الوادعة التي تفتح ذراعيها لكلّ شاعرٍ وأديب من شمال البلاد، وتتعطّش لكلّ قطعة إبداعٍ من نتاجهم الغزير الثرّ، وترى فيهم قدوة حسنة ومثالاً يُحتذى وترجو للأجيال الشابّة أن تترسّم خطاهم وتسير على الطريق التي عبّدوها بأقلامهم وأفكارهم وحبّات عرقهم.

وخلال هذه اللقاءات وجدت في شخصية الشاعر تواضعاً جمّاً وبساطةً وطيبةَ قلب، تنبع من نفسٍ هادئةٍ مطمئنة وقلبٍ مفعمٍ بالإيمان، تمتزج فيه بساطة الطبع مع سلامة الذوق وغزارة العلم والمعرفة.

ورأيتُ فيه حنوّ الأب على أبنائه فهو يشجّع الأقلام الواعدة، ويتبنّى ذوي المواهب من طلاب المدارس وطالباتها، ويقف مع بعضهم حتى يُصدر باكورة أعماله كما فعل مع طالبة من مدرسة كسيفة الثانوية، وربما فعل ذلك مع غيرها وغيرها.

وفي كلّ مرّةٍ يزورُ فيها النقب كان يفتحُ قلبَه الكبير، ويفيض ينبوعُ علمه وأدبه، ويسيل شعرُه هادئاً رقراقاً يُمجّد اللغةَ العربية ويُعدّد فضائلها ومزاياها الكثيرة، ويبيّن للنشء وللأجيال الغضّة أهمية التمسّك باللغة التي هي رمز العروبة والوحدة

والدين والقومية الواحدة.

وكنتُ أشعرُ دائماً بأنّه يُعاملني معاملةً خاصة، ويسألُ عني كلما جاء إلى النقب، وهذا الاهتمام والحنوّ الأبوي زاد من قيمته عندي ورفع منزلته درجاتٍ ودرجات. وقد أهداني نسخةً من ديوانه النفيس «حبّات عرق» فغُصتُ فيه مرّاتٍ ومرّات، وفي كلّ مرّة تستوقفني فيه أشياءُ كثيرة، منها سلاسة الأسلوب وانسياب النص والتقيّد بالأوزان حيناً والتحرّر منها حيناً آخر، مع معرفةٍ تامة بعلوم العربية من خلال سنوات قضاها معلماً لهذه اللغة في المدارس العربية المختلفة.

وكان لا بدّ قبل أن أكتبَ هذه الكلمة أن أعرفَ عنه المزيد، فقرأتُ كثيراً من المقالات التي كُتبت عنه على صفحات الشبكة العنكبوتية، وتصفّحتُ الديوان مرّةً أخرى، وتذوّقت كلّ كلمةٍ خطَّها يراعُه، وتعمّقتُ في كلّ ما كُتب عنه فما زادني ذلك إلا محبة وتقديراً لشخصيته الفذّة ولموهبته الكبيرة وشاعريته الصادقة المعبرة. ووجدت في ديوانه ما يدعم نظرتي عنه في البساطة والتواضع ومحبة الأسرة والعائلة، تلك الخصال الجميلة والمزايا الحميدة التي تتحلّى بها شخصيتُه دون تكلّفٍ أو تصنّع، وتجعله يدخل قلوب قرائه ومحبيه بعبير أدبه وشذى شعره وأريج كلماته وفوح ألفاظه وعباراته.

ففي زاوية دفء العائلة من حبات عرقه يتجلّى وفاؤه وإخلاصه للأم والزوجة والابن الذي ربّاه فأحسن تربيته، وهو يفخر به ويتمنى أن يكونَ كثيرٌ من الأبناء مثله. ونراه يقول في قصيدة «أم بشير»:

لقد كنتُ أخشى من تضاؤلِ حِكْمتي

ولكنَّ شِعْري من صفائِكِ شادِ

فيا معهدَ العيشِ الكريمِ مؤثَّلا

بالطُّهْرِ والرأي السَّديدِ يُنادِي

عَهِدْتُكِ كنزاً زاخراً بوفائِهِ

فأنتِ لعَمري طَارِفِي وتِلادِي

إنها السكينة والراحة النفسية التي يجدها الشاعرُ في بيته ومسكنه حيث يهدأ قليلاً ليعاود السقسقةَ من جديد في قصائد أخرى أودع فيها شعوره وإحساسه وبثَّ فيها خلجات نفسه وزفرات روحه، فنراه يقول في «بطولة أم»:

أخلصتِ للدينِ الحنيفِ وللصلاةِ الوادعة

أورادُكِ البشرى استقرَّتْ عبرَ أجواءِ السماءِ السابعة.

في كلّ ناحيةٍ على جُنْحِ الملائكةِ العظام

فقتلتِ عُقْمَ المستحيل

وبنيتِ قصراً للسلام.

ونقطةٌ أخرى لفتت انتباهي وهي أنه يُلبي الدعوةَ عندما يُدعى للمشاركةِ في ندوةٍ أدبيةٍ أو حفلِ تخريجٍ في منطقة النقب، فيأتي رغم بُعد المسافة ومشاقّ السفر، وهذا يدلّ على إيمانه برسالته وحبّه في توصيلها للأجيال الشابّة التي يرجو لها أن تكونَ على قَدْرٍ كبيرٍ من الوعي والثقافة حتى تقودَ مجتمعاتنا إلى شاطئ الأمانِ وبَرّ السلامة.

وجفاني الشعرُ ذات مرّة ورفرفتْ حمائمُه مهاجرةً إلى البعيد، وأقفرَ عبقرُ من ساكنيه فكادت قريحتي تجفّ وتصبح كنهر نعيمه المتجمّد، ولكن عندما علمتُ أن عدداً من الشعراء سيحلونَ ضيوفاً على مدرسة النجاح الثانوية في رهط، ومن بينهم شاعرنا عبد الرحيم الشيخ يوسف عادت قريحتي لتجود بقصيدة كتبتُها لهذه

المناسبة، ومما جاء فيها:

أمدرسةَ النجاحِ أتيتُ أشـدو
وقد ولَّى الشبابُ وضاعَ مِني
حملتُ دفاتري وأتيتُ نِضْـواً
أَجُرُّ مِنَ الأسى أثوابَ حُزْنِي
وجئتُ أُرَافِق الشعـراءَ حَتَّى
أُعِيدَ إلى القريضِ بنات ذِهْني
لَعَلِّي عندما يشـدو هَـزَارٌ
يُغَرِّد بُلْبُلٌ من فـوق غُصْني
ويَصْدَح في سَمائـي عندليبٌ
وشُحْرُورٌ على أَيْكِي يُغَنِّـي

ولعلي بهذه الكلمة القصيرة أكون قد عبّرتُ عن مدى حبي وتقديري لشاعرنا عبد الرحيم الشيخ يوسف ولشخصيته المتواضعة الطيبة، ولأخلاقه السامية النبيلة سائلاً المولى عز وجل أن يمدَّ في عمره وأن يضفي عليه رداء الصحة والعافية وأن يزيده من نعمة العطاء والإبداع، وأن يهدينا جميعاً إلى ما يحبّ ويرضى.

* * *

رهط في: الأربعاء، ١٣ نيسان، ٢٠١١

في جنان الخُلد يا أبا وديع

بقلم: صالح زيادنة

لا أسفٌ عليكِ أيتها الدنيا، ولا أسفٌ على مظاهرِك الكاذبةِ الخدَّاعة، فأنتِ عند اللّه لا تُساوينَ جناحَ بعوضة، ومن يجعلك صيدَهُ في الحياةِ الدنيا فقد خسِرَ وخاب، ومَن عَمِيَتْ عيناه من وهجَ بريقِك فقد ضلَّ وتاه.

أنتِ .. مَنْ أنتِ؟ إنكِ طريقٌ وممرّ، طريقٌ يلمعُ فيها الآلُ والسراب فيظنه الظمآنُ ماءً، وكلما دنا منه واقترب وجده فراغاً لا شيء فيه، لا يُروي عطشاً ولا غليلا.

طريقُ الحياة الدنيا تبدو للناظر كأنها محفوفةٌ بالورد والياسمين، وقد يكون فيها شيء من ذلك، ولكن المدرك للأمر يعرف أن تلك الورود تُخفي تحت نعومتها أشواكاً طويلةً حادة تلسع من تمتد يده إليها، فلا نجني منها إلا الحزن والأسى والحسرةَ والألم.

فمن زاغت عيناه عن حقيقتها فقد غاصت قدماه في الوحل، ومن عرف كنهها وأدرك معناها فقد حظيَ وفاز.

وعندما نشرت وسائلُ الإعلام خبرَ وفاة الفنان «محمد أبو عجاج»، ذلك الخبر الذي ترك في النفوس لوعة وحسرة، شعرتُ بضيقٍ يُطبق على ألواحَ صدري، وبزفرة مبحوحةٍ تتأوّه في أعماق روحي، وبغصّةٍ عميقةٍ تقف في أعلى حلقي، وبدمعةٍ حزينةٍ تترقرق في عينيّ، لا أكاد أمسحها حتى تنحدر أخرى وأخرى مكانها.

فإن يكن قد رحلَ أبو وديع عن هذه الفانية إلى رحمة اللّه ورضوانه، وسُنّة الحياة أن يرحلَ الجميع، فعزاؤنا أن نقولَ كما قال رسولُنا الكريمُ من قبل: «إنا على فراقك لمحزونون».

هذه هي حال الدنيا يا أبا وديع، فهناك من يمضي عنها كسحابةِ صيف، وهناك من يترك بصماته على أجيال كاملة، وكنتَ أنتَ من الذين تركوا بصماتٍ ظاهرةً جلية، فإن غُيّبْتَ عنا، وهذا أمر الله سبحانه، فإن أثرك باقٍ ومآثرك باقية إلى أن يشاء الله.

نسأل الله سبحانه أن يجعلَ قبرَك روضةً من رياضِ الجنة، وأن يجعلَ مقامَك في الفردوسِ الأعلى، وأن يحشرك مع الأنبياء والصدّيقين، ونسأله سبحانه أن يلهمَ أهلَك من بعدك الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

قصائد مترجمة

«تفضّل الشاعر الفلسطيني المغترب عبد الوهاب القطب الملقب بـ «ابن بيسان» بترجمة قصيدتين من قصائدي إلى اللغة الإنجليزية، ونُشرا في حينه على الشبكة العنكبوتية، وتفضّل بعدها الأخ الشاعر نعيم جبور من رهط بترجمة ثلاث قصائد لي من العربية للعبرية، وها أنا أضع هذه الترجمة مع نصّها العربيّ في المقابل».

Five journeys in your eyes

Translated by: Ibn bisan.

-1-

In your deep eyes ...
My words become so confusing
And my sighing intensifies.
from therein,
the message of love flies
Away with whispers
Into my heart.
If your eyes could only
Understand so clearly
What sayeth my poetry,
Lost they wouldn` t be
In conjecture
Nor would ask what love
Was meant to be.

-2-

In your deep warm eyes ...
I rid myself of
My winter garments,
And perpetuating shyness.
I would sail against the tide,
Covered with your kindness,
That which my head caresses.
In the deep sea, I see

Men diving looking for pearls,
If they only knew
What I already know,
They`ll find it in your in your own eyes.

خمس رحلات في عينيها

شعر: صالح زيادنة

– ١ –

في عُمْقِ عَيْنَيْكِ ...
ترتبكُ الكلمات
ويزدادُ وَجِيبُ الأنَّات
وتطيرُ عصافِيرُ الحُبّ
لتهمسَ في أُذنِ القَلْب
لو تفهم في الشعرِ عيونك
ما تاهتْ في ليلِ ظُنونك
ولم تسألْ: ما معنى الحُبّ؟

– ٢ –

في عُمْقِ عَيْنَيْكِ ...
أخلعُ معطفي الشتويّ
وحيائي الأبديّ
وأسبحُ عكسَ التيار
وأشعرُ بحنانِك يغمرني
يدغدغُ جلدةَ رأسي
وأرى صياداً يصطادُ اللؤلؤ
آهٍ لو يعرفُ مثلي
معنى الغَوْصِ بهذا البؤبؤ

-3-

In your deep eyes ...
I see things that take me
to the wilderness,
With its bending trees
and the shades of ceders...
They take me to
The whistling wind from the east
And its searing heat,
I see scores of goats
Gazing around, roaming the desert.
I see the beautiful smiles of the shepherds.
And I hear from the moaning of the flute,
In the still of the night,
Melodies of a captured heart,
Sarinating the full moon.
O! my full moon,
I wish you could sail deep into those eyes,
And try to come to know what secret lies
In those deep dark eyes.

-4-

In your deep eyes ...
There lies
A stretching desert
In which roam the deer,
And hovering birds so near.
In which sings the curlew,
Along with screaming winds a long the road
Like those of your love blowing in my heart....
Woe to my heart..
From what her eyes had done,
Over and over to the doting one.

– ٣ –

في عُمْقِ عَيْنَيْكِ ...
أشياءُ تجذبني للبَرّ
لأشْجَارِ النَّبَقِ المحْنِيّة
وَظِلاَلِ السِّدْر
لِصَفِيرِ الريحَ الشرقيّة
ووهيجَ الحرّ
لقطعانِ الماعزِ في الصَّحراء
لجَمَالِ القَسَمَاتِ البدوية
في وجهِ الراعيةِ السَّمْرَاء
لأنينِ الناي المحزون
يرددُ في صَمْتِ الليل
ألحاناً من قلبٍ مفتون
يناجي البدر
آهٍ يا بدر ..!
لو تُبْحرُ في عُمْقِ العينين
وتحاول أَنْ تُدْرِكَ مثلي
أسرارَ العينين السُّمْر

– ٤ –

في عُمْقِ عَيْنَيْكِ ...
صحراءٌ مترامية الأطراف
تسرحُ فيها الغزلان
وَتُحَلِّقُ أَسْرَابُ القُمْرِيّ
ويغرّدُ فيها الكروان
وتهبُّ زوابعُ في الدَّرْب
كزوابعِ حُبِّكِ في القَلْب
آهٍ يا قَلْب ..
كم تفعل تلك العينان
في قَلْبِ العَاشِقِ وَالصَّبّ

-5-

In your deep eyes...
Therin lies..
Made-up gardens with melody
In it, visiting lovers see
And read love and poetry.
In those eyes
I see butterflies
Descending on flowers
Sipping like your eyes
The nectar of my heart.
Like CUPID`s arrow,
They point me toward a road
So hard to follow,
Everywhere I go
I see red flags all around,
Saying: no love is allowed.

– ٥ –

في عُمْقِ عَيْنَيْكِ ...
رياضٌ تزهو بالأشعار
يقرأُ فيها العُشّاق
قصائدَ من شِعْرِ الحُبّ
وفراشاتٌ تطيرُ على الأزهار
تمتصُّ رحيقَ القَلْب
وتشير بسهم كيوبيد
حيث تسير َالدَّرْب
لَكِنْ في الزاويةِ اليمنى
شَارَاتٌ حَمْرَاء
عليها مكتوب:
ممنوع الحُبّ ..
ممنوع الحب

* * *

The sad poet

Translated by: Ibn bisan.

behold ! the saddened poet walking
clinching to an old portfolio,
absent-mindedly chewing on his past
as if begging his barren genius
for some thoughts and ideas.
behold him wandering around
asking time the whereabouts,
of his old house and its people.
what went wrong with his life
in a journey so voiding and so ungiving.
but still searching for some poetry
burried and lost in the hollows
of his forgetful memory.
behold this wanderer..
flipping one page after another,
of the days gone by
still looking..and examening
every happening
of his recent passing years.
searching for her in
one old house after another,
anoiting them wall after wall
hoping to find a lover,
whose name could not recall.
was it..Najwa?or Huda
or perhaps Suzanne?
perhaps ,he thought,if he waits by the well,
she would come to fill her vessel,
like the rest of the women
and see her amongst them.

behold this saddened poet
talking to himself,wondering,

الشاعرُ المَحْزُون

شعر: صالح زيادنة

الشَّاعِرُ المَحْزُونُ ..
يَحْمِلُ الحَقَائِبَ القَدِيمَة
ويمضغُ التاريخَ
ويشحذُ القريحةَ العَقِيمَة
مُسَافِرٌ يُسَائِلُ الزَّمَان
عن بيتِهِ .. عن أَهْلِهِ ..
عن عُمْرِهِ ..
في رِحْلَةِ الإحْبَاطِ والحِرْمَان
عن نَثْرِهِ ..
عن شِعْرِهِ المدفونِ في مَغَاوِرِ النِّسْيَان
مُسَافِرٌ يُقَلِّب الصَّفَحَاتِ
من أيَّامِهِ
ويمضغُ الأَحْدَاثَ مِنْ أَعْوَامِهِ
يفتّشُ المنازلَ القَدِيمَة
يَتَلَمّس الجُدْرَان
فلربما تأتي الحَبِيبَةُ
مَا عَادَ يُذْكَر إِسْمَهَا
آهٍ لعَلَّها نَجوى ..
هُدَى .. سُوزَان
لعَلَّها تأتي مَعَ النسَاءِ في الصَّبَاح
لتملأَ الجرَار
من بِئْرِنَا العَمِيقَةِ القَرَار

* * *

الشَّاعِرُ المَحْزُونُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ
أينَ الرِّفَاق ؟
ويَصْفَعُ الجَبِين ..

كَأَنَّهُ يُخَاطِبُ الحَنِينَ والأَشْوَاق
لَعَلَّهُ قَدْ تَاهَ في الصَّحْرَاء
أو ضَاعَ في مَوَاكِبِ الإعياءِ والإرْهَاق

* * *

الشَّاعِرُ المَحْزُونُ
يَفْتَحُ الحَقَائِبَ القَدِيمَة
وينثرُ الأوراقَ في عُرْضِ الطريق
وينثرُ الأشعارَ والقصائدَ اللعينة
وَيُشْعِلُ الحَرِيق
فتضحكُ البنات
وَتَسْخَر النِّسَاء
والشَّاعِرُ المَحْزُون يَذْرف الدُّمُوع
ويبدأ البكاء
ويخدشُ الخدودَ بالأظافرِ الطويلة
فَتَصْرُخُ البناتُ
وتولول النسوان
لَكِنَّهُ يَذُوبُ
في سَحَائِبِ الدُّخَان

* * *

where all his friends went.
but denyingly, slaps his face silly;
«what happened to me?
it had to be
my yearning and longing that caused me
this pain of a drifter lost in a desert
or the pain of a lost one
amid clamour and tiresome».

behold ! the saddened poet
open his portfolio of old poems,
piling them across the road
like a bad curse,so dire.
he sets them on fire,
before the very eyes
of giggling teens,
and belittling women.
but the sad poet drops the tears
as he begins to weep.
he walks toward the burning heap,
bleeding through his cheeks.
suddenly they started to yell and scream,
as he disappears
behind the smoke screen...

* * *

תפילת הלב

תרגום: נעים גבור

אם פעם אחת אירדם
או אשתטה .. בלי כוונה
האר נא את דרכי... אלוהיי
בתפילותיי .. בימי הצום
בשקט.. בדממה..ובשאון
אתה בלבי תמיד... אלוהיי
בתעניות, בתפילות הלילה
בחיוכים.. בבכי ובדמעות
אתה כמו נר בלבבי.. אלוהיי
אם אלך בדרכי במהרה
או אשן במיטתי במנוחה
תמיד תהייה בלבי... אלוהיי
אם קורא אני בספריי
או משוחח עם רעיי
תישאר לעד בלבבי... אלוהיי
אם אהבתי אליך נר
ואהבתך דמעה..
האר את נרותיך בלבבי...
אלוהיי

صلاةُ قلب

شعر: صالح زيادنة

أنَا إنْ غَفِلْتُ وتَاهَ دَرْبي
إنْ سَهَوْتُ وكَلَّ هَدْبي
فأنِـرْ طريقي ..
يا إلـهي
في صَلاتِي وفي صِيامِي
فِي سُكُوتِي وفي كَلامِي
أنْتَ في قَلْبيَ دَوْمَاً ..
يا إلـهي
في قِيَامِي وفي دُعَائي
في إبتسامي وفي بُكَائِي
أنْتَ دَوْمَاً في فُؤَادِي
يا إلـهي
إن كُنْتُ أُسْرِعُ في مَسِيري
أو كُنْتُ أرقُدُ في سَريري
أنْتَ دَوْمَاً في فُؤَادِي
يا إلـهي
إنْ كُنْتُ أَقْرَأُ في كِتَابِي
أو كُنْتُ أَحْكِي مَعْ صِحَابِي
أنْتَ دَوْمَاً في فُؤَادِي
يا إلـهي
إن كَانَ في النُّورِ العَظِيم
أو كَانَ في الليلِ البَهِيم
أنْتَ نُورِي في حَيَاتِي
يا إلـهي
إنْ كَانَ حبُّكَ شَمْعَةً
وكَانَ حُبِّيَ دَمْعَةً
فأنِـرْ شُمُوعَكَ في فُؤَادِي
يا إلـهي

געגועים... ודמעות

תרגום: נעים גבור

אל תתעצבי.. אהובה
אם בתוך דמי
נבלו מילות שיריי
או אם החרוזים
נפלו כחללים בתוך לבי..
אל תתעצבי...
אם החיוכים נטשו
ולו לרגע את שפתותיי
כי אני – נשבע בעינייך,
שהאירו את חשיכת דרכיי-
מבקש רק אהבה חמימה
שתעטוף את כאביי..
ותישפך על לבי כמו תרופה
.. וכשאת כה רחוקה
חושש מאורך הציפייה
ומעומק ומרירות העצב..
מחפש את הדרך אלייך
אבדתי ...אהובה..
היכן דרכך ? !

دُمُوعِي وَأَشْوَاقِي

شعر: صالح زيادنة

أَحَبِيبَتي .. لا تحزني
إنْ كَانَت الأشْعَارُ
تَذْوِي في دَمِي
أَو كَانَت الكَلِمَاتُ
تَذْبلُ في فَمِي
لا تحزني ..
إنْ كَانَت البَسْمَاتُ
تَهْجُرُ مَبْسَمِي

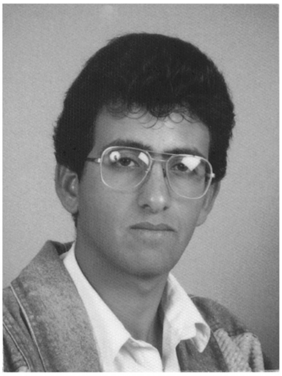
* * *

فَأَنَا .. وَعَيْنَيْكِ اللتينِ
أَنَارَتَا دَرْبِي الطَّويلْ
أرنو لِحُبٍ دَافِءٍ
يَنْسَابُ في قَلْبي العَلِيلْ
إني لأخْشَى أن تَطُولَ كَآبَتي
ويُصِيبَ أَحْلامِي الذُّبُولْ
أَيْنَ السَّبِيلُ إليكِ ؟
إني تَائِهٌ ..
أَيْنَ السَّبِيلُ ؟!

* * *

את מקלטי

תרגום: נעים גבור



הניחי לי לשוב אלייך
כי את מקלטי...
את טיפות הגשם הרכות
את היופי שבטבע.. שבתוכי..
את חן הוורדים
ושדות נפשי הפורחים
את רון המנגינה.. וחיוכי נשמתי
חוזר אלייך.. אחרי קשיי היום
שם את תלאות החיים
בין ידייך היפות
מנמנם מעט כמו תינוקות..
חולם שאני רץ אחרי פרפרים
מצייר על החולות כלה..
ומונה את הצדפים
הניחי לי לשוב אלייך
אחרי המסחר..
ושריפת היממה אחרי היממה
במכירת השקרים.. בשוק המחר
עייפתי נסיכת אהבתי..עייפו ידי
באתי סוחב את שאריית
נערותיי
וצללי עלומי..
שרידי אדם חוזר אלייך
בין ערביים..
מחפש אותך כמו מכור .. לסם
המרפא
אולי אקבל ממך
את ניחוח השלווה
ואת רוח האמונה
תני לי את ידייך
כי ממך... אברח אלייך..
לחיק תמים שאליו השתוקקתי...
להניח בו בעדנה את ראשי
אשכח מכאבי החיים
ואשכח אצלך את תלאות הימים..

* * *

أنتِ الملاذُ

شعر: صالح زيادنة

دعيني أَلُوذُ إليكِ ..
فأنتِ الملاذُ
وأنتِ النسيمُ العليلُ بصدري
أنتِ الرذاذُ
وأنتِ جمالُ الطبيعة
أنتِ بهاءُ الورود
وأنتِ رَيحانةُ نفسي
وبسمةُ روحي
ولحني الشرود
وأنتِ مَقَرِّي ..
أعودُ إليكِ
بعدَ المشقةِ ..
وكَدْحِ النهار
وألقي همومَ الحياةِ لديكِ
وأغفو قليلاً ..
مثل الصِغَار
وأحلمُ أني أصيدُ فَرَاشاً
وأرسمُ فوقَ الرمالِ عَرُوساً
وأحْصِي المحار

* * *

دعيني ألوذُ إليكِ
بعدَ التجارة
وصَرْفِ النهارِ تلوَ النهار
ببيعِ النفاقِ ..
بسوقِ الخسارة
تعبتُ أميرةَ حبي
وكَلَّتْ يداي
وجئتُ أجُرُّ بقايا شبابي
وظِلَّ صِبَاي
حُطاماً أعودُ إليكِ ..
حينَ المساء
عليلاً أنوء بِحَمْلِ شجوني
لفرطِ العناء
لعلّي أشمُّ لديك
عبيرَ السكينة ..
وريحَ الوفاء
فمدّي إليَّ يديكِ
لأَهْرُبَ مني إليكِ
لحضنٍ بريءٍ أتوقُ إليه
وأُلْقِي برأسي برفقٍ عليه
وأغفو قليلاً ..
مثل الصِّغَار
وأَنْسَى شُجُونَ الحَيَاةِ جَمِيعَاً
وأنسى لديكِ هُمُومَ النَّهَار

* * *

المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

* قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

* يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

* رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ .



يا رب